مؤرخو الأرمن فى العصور الوسطى
ـ ٦ ـ
سبيوس Sébêos

المسلمون والبيزنطيون والأرمن

فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمنى المعاصر « سبيوس »
(١١ ـ ٤٠ هـ/٦٣٢ ـ ٦٦١ م)
صفحة مُشَرِّفَة من تاريخ الفتوحات الإسلامية

دكتـور
فايز نجيب اسكندر
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بجامعتى بنها بمصر
وصنعاء باليمن

دار الحكمة اليمانية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الحكمة اليمانية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

ج. ي - صنعاء
شارع القصر الجمهوري
هاتف: ٢٧٢٤٧٤ - ٧٣٥٨٤
ص.ب. ١١٠٤١ - برقياً: حكمة
س.ت. ٨٠٣ - ٢١ فاكس: ٢٧٢٤٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

يرجع اهتمامى بتاريخ الأرمن إلى ما يقرب من عقدين من الزمان ، أى إلى العهد الذى كنت أحضر فيه لدرجة الدكتوراه فى تاريخ العصور الوسطى فى رسالة موضوعها « مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى » ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الإسكندرية . فشجعنى سيادته على القيام برحلة علمية إلى باريس ، فسافرت إليها فى عام ١٩٧٩ وكرست وقتى فى مطالعة عدد هائل من مصادر تاريخ الأرمن . ووجدت من المفيد — بعد حصولى على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى — القيام برحلة ثانية إلى باريس ، وكان ذلك فى عام ١٩٨١ ، حيث قمت بزيارة مكتبة نوبار للدراسات الأرمنية ، والمكتبة الوطنية بباريس ، ومكتبة السوربون ، ومكتبة الدراسات البيزنطية ، وأخيراً المركز القومى للأبحاث العلمية وتحقيق التراث . وبذلك أتيحت لى فرصة تصوير أمهات مصادر تاريخ الأرمن من المعاصرين وشاهدى العيان لأحداث العصر الوسيط .

وبعد الرحلة العلمية الثانية توالت أبحاثى وكتبى عن تاريخ وحضارة الأرمن . ففى أثناء وجودى فى إعارة بجامعة قسنطينة بالجزائر ألقيت محاضرة عامة بعنوان « الفتوحات العربية لأرمينية — دراسة تأريخية » نشرت فى مجلة سرتا التى يصدرها معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة ، العدد الثامن سنة ١٩٨٣ . تلى ذلك أن أفردت كتابا بعنوان « أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمنى جيفوند » ، أعقبه كتاباً ضخماً بعنوان « أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة فى مصنف أريستاكيس اللستيفرتى » . وكان رابع الأبحاث عن الأرمن بعنوان « استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٤ م » . وخامس كتبى عن الأرمن تناول « الحياة الاقتصادية فى أرمينية ابان الفتح الإسلامى » . ثم

القيت محاضرة عامة باللغة الفرنسية فى لاتليه (جماعة الفنانين والأدباء بالإسكندرية) بتاريخ ٢٤ أبريل ١٩٧٨ طبعت فى كتاب بعنوان ''Les Richesses De L'Arménie Au Temps Des Bagratides'' وكان آخر أبحاثى المنشورة عن « غزو الامبراطورية البيزنطية لأرمينية سنة ١٠٤٥ م /٤٣٧ هـ » . وأخيراً يأتى فى نهاية المطاف دراسة عن سبيوس Sébêos المؤرخ الأرمنى المعاصر للفتوحات الإسلامية لبلاده ، ووصفه هذه الأحداث وصف شاهد العيان المنصف . وفى حعبتى العديد من الأبحاث والدراسات عن تاريخ الأرمن الممتع ، أتمنى من الله أن يوفقنى فى إخراجها إلى حيز الوجود حتى تستفيد المكتبة العربية من هذا التخصص النادر .

والجدير بالذكر أن انغماسى فى تاريخ الأرمن ومصادره ، شجعنى على اخراج كتاب عن جيرانهم الجورجيين (= الكرج فى المصادر الإسلامية) . فأفردت مصنفا بعنوان « الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج » . ثم كتبت بحثاً ثانياً عن الجورجيين بعنوان « بلاد الكرج بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة فى عهد داود الثانى ١٠٢٥ — ١٠٨٩ م » نشر فى العدد الأول من مجلة المؤرخ العربى الصادرة فى مصر (أبريل ١٩٩٣) .

وأود أن أشير إلى أن هذه هى أول مرة يترجم فيها باللغة العربية لمؤرخين أرمن ، ويتم دراسة مصادرهم التاريخية الهامة دراسة تحليلية نقدية مقارنة .

وبعد ، فأرجو أن يجد المشتغلون بتاريخ العصور الوسطى بصفة عامة ، وتاريخ الأرمن والبيزنطيين والمسلمين بصفة خاصة ، ما يمكنهم من الانتفاع بما أقوم به من عرض وتحليل ونقد للمصادر الأرمنية .

والله أسأل أن أكون وفقت فيما ذهبت إليه
والله ولى التوفيق ،،،

صنعاء فى ١٨ نوفمبر ١٩٩٢

ا. د. فايز نجيب اسكندر
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بجامعتى بنها بمصر ، وصنعاء باليمن

المسلمون والبيزنطيون والأرمن

فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمنى المعاصر « سبيوس »

(١١ ــ ٤٠ هـ /٦٣٢ ــ ٦٦١ م)

صفحة مُشَرِّفَة من تاريخ الفتوحات الإسلامية

ا. د. فايز نجيب اسكندر
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بجامعتى بنها وصنعاء

تحتل مصادر المؤرخين الأرمن مكانة بالغة الأهمية لدارسي التاريخ الإسلامي عامة ، وتاريخ إمبراطورية فارس والإمبراطورية البيزنطية وأرمينية بصفة خاصة ؛ لكون بعض مؤرخى الأرمن معاصرين للأحداث الدائرة آنذاك بين الإمبراطورية البيزنطية وإمبراطورية فارس من ناحية ، والإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية من ناحية أخرى .

والجدير بالذكر أن معظم المصادر البيزنطية أهملت سرد أخبار الفتوحات الإسلامية سرداً تفصيلياً ، بينما زودتنا بعض المصادر الأرمنية المعاصرة للفتوحات بتفاصيل دقيقة وجديدة عن حركة المد الإسلامي . ومما زاد من أهمية هذه المصادر كون كُتَابها من معاصري هذه الأحداث الجارفة ، بل ومن شاهدي العيان لها .

أما المصادر الإسلامية ، فتتسم بالتضارب حيناً ، والتناقض أحياناً . ويرجع سبب ذلك إلى ابتعادها عن الأحداث واعتمادها على الأسانيد . ولا أدل على ذلك التناقض فى سرد أخبار الفتوحات الإسلامية المبكرة من اعتراف الطبري (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢ م) صراحة بذلك قائلاً : « أما الاختلاف في الفتوح التى نسبها بعض الناس إلى أنها كانت في عهد عمر وبعضهم إلى أنها كانت في إمارة

عثمان ، فقد ذكرت قبل فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تأريخ كل فتح كان من ذلك »[1] .

والحقيقة أن مصادرنا عن الفتوحات الإسلامية اعتمدت على الرواية الشفوية ، فلم يعرف المسلمون التدوين التاريخى حتى العصر العباسى . ومن المحقق أن المسلمين فى جاهليتهم وفى أوائل الإسلام لم يقوموا بتدوين التاريخ وإنما كانوا يحفظونه فى ذاكرتهم . ولم يكن ذلك لأنهم كانوا يجهلون الكتابة ، ولكن لتحبيذهم الحفظ عن الكتابة . فهذه الأخيرة لم تكن وقتذاك لتعطى صاحبها تفوقاً فى المجتمع أكثر مما تعطيه ملكة الحفظ . فكان تاريخ المسلمين الأول ، وهو عبارة عن وقائع وأيام وفتوحات ، محفوظاً فى الذاكرة ، يرددونه على ألسنتهم ؛ وأعانهم على حفظه بيئتهم الصحراوية الطليقة التى ليس فيها تعقيد . لذا التجأ مؤرخوهم الأوائل إلى الأسانيد فى روايتهم التاريخية[2] .

فالبلاذرى (ت ٢٧٥ هـ/٨٩٢ م) فى مصدره « فتوح البلدان » اعتمد فى سرده التاريخى على الرواية الشفوية . فى حين كان المؤرخ الأرمنى سبيوس Sébêos صاحب مصنف « تاريخ هرقل » Histoire D'Héraclius شاهد عيان لأحداث القرن الأول الهجرى /القرن السابع الميلادى ، ولفتوحات المسلمين فى أرمينيه وطنه[3] .

ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياة سبيوس الخاصة . إلا أنه كان أسقفاً

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك — دار المعارف ١٩٦٧ — حـ ٥ ، ص ٤٧ . أنظر أيضاً : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين — الإسكندرية ١٩٨٢ — حـ ١ ، ص ٤٢ .

(٢) عبد المنعم ماجد : مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى — القاهرة ١٩٧١ — ص ٣١ — ٣٣ .

(٣) Sébêos, Histoire D'Héraclius, Trad. F. Macler, Paris, 1904, P. VII.
أنظر أيضاً : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٢٩ — ٣٠ .

فى عهد البطريك نرسيس الثالث الملقب بالبناء[٤] (٦٤١ — ٦٦١) Nersès III واشترك فى المجمع المسكونى السادس المقام فى مدينة دوين Dwin سنة ٦٤٨ م . وزودونا فى مصنفه بالتفاصيل المطولة ، لأحداث هذا المؤتمر الدينى ، والخطابات المتبادلة بين الإمبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى (٦٤١ — ٦٦٨ م) Constants II والأرمن بزعامة البطريك وأساقفته ورجال الإقطاع والقائد ثيودور الرشتونى[٥] Théodoros Rstunis ، وأوضح بما لا يدع مجال للشك نبذ الأرمن لمقررات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م والتى حاول الإمبراطور

---

(٤) بعد وفاة البطريك الأرمنى أزر Ezr (٦٢٨ — ٦٤٠ م) سنة ٦٤٠ م ، إعتلى نرسيس الثالث كرسى البطريركية الأرمنية وذلك سنة ٦٤١ م/٢٠ هـ . وكان نرسيس أسقفاً على الطايك Taykh ، واعتزل منصبه الدينى سنة ٦٥٢ م/٣٢ هـ ، لكنه عاد إليه ثانية سنة ٦٥٨ م/٣٨ هـ ، وانتهى به الأمر أن توفى سنة ٦٦١ م/٤١ هـ . ولقب الكاثوليكوس نرسيس بلقب « البناء » لكثرة إهتمامه ببناء الكنائس والأديرة ، إضافة إلى إستصلاحه للأراضى وزرعها بالكروم وأشجار الفاكهة . وتوضح لنا هذه السطور أنه وسط الحملات الإسلامية إستمرت الكنيسة الأرمنية فى ممارسة الأعمال الحضارية والمعمارية . وكانت ثقافة نرسيس تميل نحو الثقافة الإغريقية ، إذ كان ضليعاً فيها ، إضافة إلى ذلك ، أبدى إنشغاله الشديد بالخطر الإسلامى الذى كان يتفاقم يوماً بعد يوم . فلم يكن بوسعه — من الناحية السياسية — إلا أن يكون خليفاً لبيزنطة وللسيادة البيزنطية . وقد لعب نرسيس دوراً بالغ الخطورة أثناء الفتوحات لأرمينية ، يلى دور ثيودور الرشتونى Théodoros Rstunis . فبينما كان ثيودور مناصراً للمسلمين ضد البيزنطيين ، كان نرسيس مناصراً للبيزنطيين ، لدرجة أن المؤرخ الأرمنى المعاصر سيبوس إتهمه بأنه يميل سراً إلى مذهب الطبيعتين الذى يبغضه الأرمن . فى حين أن جون كاثوليكوس وصفه بأنه طاهر الطباع ويستحق الثناء والمديح . أنظر : Sébēos, XXX, P. 111; XXXV, P. 136 Et N.1; Jean Catholicos, Histoire D'Arménie, Paris, 1841, XII, P. 78-79; Cf. Saint-Martin, Mémoires Historiques, Paris, 1818, I, P. 438; Grousset, Histoire de L'Arménie, Paris, 1973, P. 297-298.

(٥) الأمير ثيودور الرشتونى من سلالة أسرة الأمراء الرشتونيين ، وهى من أسرة سيساكيان Sissakian الأرمنية . (للتفاصيل أنظر هيرودوت الأرمن موسى الخورينى Moïse De Khorène, History of the Armenians, London, 1978, I, II, Ch. VIII.) ويذكر المؤرخ الأرمنى أتين أسوليك الطارونى أن الرشتونيين كانوا فرعاً من أسرة سيونى (سيونيك) Siwnie ، ويرجح أنهم ينحدرون من الأصل الميكانى . أنظر : Asolik, Histoire Universelle, 1 ère Partie, Trad. E. Dulaurier, Paris, 1883, Ch. V, P. 25. Cf. Dedeyan, Histoire des Arméniens, Toulouse, 1986, P. 193.

البيزنطى فرضها على الشعب الأرمنى قهراً(٦) . ويبدو أن سبب رفض الأرمن لمقررات مجمع خلقدونية هو الخوف من فقدان شخصيتهم الدينية والسياسية فى ظل الهيمنة البيزنطية على أراضيهم ، مما دفعهم إلى الارتماء فى أحضان المسلمين المتسامحين الذين منحوهم الإستقلال الذاتى ، ولم يفرضوا عليهم الإسلام بالقوة تمشياً مع ما جاء فى القرآن الكريم « لا إكراه فى الدين »(٧) . وهكذا تمسك الأرمن بالمذهب المونوفيزيتى حفاظاً على هويتهم التى حاول البيزنطيون النيل منها .

ومما يذكر أن سبيوس عاصر فترة إسدال الستار على إمبراطورية الفرس الساسانية وضمها إلى دار الإسلام(٨) ؛ فزودنا بلوحة صادقة

(٦) للتفاصيل أنظر : Sébēos, XXXIII, P. 112-130. Cf. Zaven Arzoumanian, Studies in Armenian Historiography, Philadelphia, 1981, P. 15.

(٧) القرآن الكريم : سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

وقد اعترفت بهذا التسامح الدينى الذى حظى به الأرمن فى ظل السيادة الإسلامية على بلادهم ، دون أن ينعموا بذلك فى عهد السيادة الفارسية أو البيزنطية المؤرخة الفرنسية برنديت مرتان هيزار Bernadette Martin-Hisard أستاذة تاريخ العصور الوسطى بجامعة باريس I . ففى بحث بعنوان « السيادة الإسلامية والحريات الأرمنية (فى الفترة من القرن السابع الميلادى إلى القرن التاسع) » Domination Arabe et Libertés Arméniennes Viiᵉ-IXᵉ Siecles المنشور فى مجلد « تاريخ الأرمن » Histoire des Arméniens تحت إشراف المؤرخ الفرنسى الأرمنى الأصل جيرارد ديديان Gérard Dédéyan .

أكدن برنديت أن المصادر الأرمنية المعاصرة لم تشر إلى ذلك ،إلاأن آخر الحفريات الأثرية التى أجريت فى مدينة دوين Dwin ــ العاصمة الأرمنية آنذاك ــ أكدت تأكيداً قاطعاً على أن مسلمى القرن السابع الميلادى /القرن الأول الهجرى عاملوا الأرمن بالحسنى ولم يكرهوهم على اعتناق الإسلام . ودللت على صحة قولها هذا على ما شهدته أرمينية من إزدهار واضح فى بناء الكنائس ، وأكدت بالتالى ــ نتيجة هذا الدليل المادى ــ على حرية الأرمن المطلقة فى ممارسة شعائرهم الدينية ، وتشييد كنائسهم التى شهدت إزدهاراً معمارياً لم تشهده من قبل ، دون أية قيود مفروضة من قبل المسلمين .

وعلقت برنديت على ذلك قائلة أن المسلمين الأول التزموا بهذه المبادئ فى تعاملهم مع أهل الذمة فى كافة البلدان المفتوحة . ثم أخذت فى سرد أسماء الكنائس الأرمنية التى أسفرت عنها الحفريات الأثرية والتى تعود إلى القرن السابع الميلادى /القرن الأول الهجرى أنظر :
Bernadette Martin-Hisard, Domination Arabe et Libertés Arméniennes, Dans Histoire des Arméniens, Toulouse, 1986, P. 190-191.

(٨) للتفاصيل أنظر : Sébēos, XXX, P. 94-95.

لشاهد عيان يؤرخ لأحداث عاشها وعايشها . ويلاحظ أنه يسرد الأحداث متجنباً ذكر أسبابها ومناقشتها ، ودون أن يدرسها دراسة نقدية فاحصة . وليس هذا بغريب على عصره ، إذ اعتاد مؤرخو ذلك العصر من أرمن وبيزنطيين وكتاب حوليات مسلمين وسريان على تلك الكتابة البعيدة عن التحليل والنقد والتمحيص(٩) .

وبما أن سبيوس عاصر الكثير من الأحداث التى أرخ لها(١٠) ، والتى استمد بعضاً منها من أفواه شهود العيان ؛ إذ أنه اعترف بذلك صراحة حين قال إن بعض الأسرى قصوا عليه بعض أحداث الفتوحات الإسلامية لأرمينيه ، وذلك عقب إطلاق سراحهم من قبل المسلمين(١١) ؛ لذا ، لم يشر إلى المصادر الخطية التى استمد منها القليل من مادته التاريخية .

على أية حال ، كان مصنفه مصدراً ثميناً لخلفائه ، فانقضوا عليه انقضاضاً لينقلوا عنه المادة التاريخية الثمينة التى لم يعاصروا أحداثها . هكذا فعل جيفوند(١٢) Ghévond والبطريرك المؤرخ جون

(٩) Sébēos, Introduction, P. VII.

(١٠) أرخ من أواخر القرن الخامس إلى إنفراد معاوية بن أبى سفيان بالحكم سنة ٦٦١ م / ٤٠ هـ وتأسيسه الخلافة الأموية . أنظر : Sébēos, P. VIII.

(١١) أشار إلى ذلك صراحة حين قال : "Nous Avons Appris Ces Faits des Prisonniers Venus D'Arabie qui en ont été Témoins Oculaires et nous les ont Racontés" أنظر : Sébēos, XXX, P. 102.

(١٢) بدراسة تحليلية نقدية مقارنة ، نلاحظ أن جيفوند — مؤرخ القرن الثامن الميلادى — لخص الكثير مما زودنا به فى فصوله الأولى عن سبيوس . وبذلك يمكننا عقد مقارنة بين الفصول والصفحات التالية : قارن

Ghévond, Histoire des Guerres et des Conquētes des Arabes en Arménie, Tr. G.V. Chahnazarian, Paris, 1856,

Ch. I, P. 2. مع Sébēos, Ch, XXX, P. 95-96.

Ghévond, Ch. I, P. 3. مع Sébēos, Ch. XXX, P. 97-98.

Ghévond, Ch. II, P. 4. مع Sébēos, Ch. XXX, P. 98-99.

Ghévond, Ch. III, P. 7-8. مع Sébēos, Ch. XXX, P. 100.

كاثوليكوس(١٣) Jean VI Catholicos واتيين أسوليك الطاروني(١٤)

Sébéos, Ch. XXXII-XXXIII, P. 109-100. مع Ghévond, Ch. III, P. 9-10.
Sébéos, Ch. XXXV, P. 134-139. مع Ghévond, Ch. IV, P. 11-13.

ومع ذلك ، فإن جيفوند زودنا بتفاصيل دقيقة ومطولة عن حملة المسلمين الثانية على أرمينية سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م ، فاقت فى أهميتها أسطر سبيوس التى تعد على أصابع اليد . أنظر : Ghévond, II, P. 4-6. وقارنه مع Sébēos, XXXII, P. 104. ومما لا شك فيه أن جيفوند استمد معلوماته المطولة هذه من مصدر أرمنى مفقود ، إذ أنه لم يكن معاصراً لهذه الأحداث المبكرة . ومما يذكر أن أسوليك لخص لنا ــ كعادته ــ رواية جيفوند . أنظر : Ghévond, II, P. 4-6. وقارنه مع Asolik, I, P. 153.

(١٣) يتمتع « تاريخ أرمينية » Histoire D'Arménie لجون كاثوليكوس بسمعة ذائعة الصيت بين الأرمن ، ويرجع سبب ذلك إلى سلاسة أسلوبه ، وانفراده بذكر أحداث لم ترد فى تصانيف غيره من مؤرخى الأرمن ، بل وشارك فى نسج خيوط الكثير منها . فقد تناول البطريرك الأرمنى جون السادس سرداً تاريخياً تفصيلياً لفترة هامة من تاريخ أرمينية تمتد من منتصف القرن التاسع الميلادى حتى سنة ٩٢٥ م وقد اكتسب مصنفه مكانة هامة لكون مؤلفه شاهد عيان لكثير من أحداثه التاريخية . للتفاصيل أنظر : Jean Catholicos, P. 5-44. .

ويعد مصنفه المصدر الوحيد لتاريخ أسرة بجراط فى نهاية القرن التاسع الميلادى وأوائل القرن العاشر . وقد استفاد جون كاثوليكوس من كتابات موسى الخوريني Moïse de Khorène وتوماس أردزرونى Thomas Ardzrouni وموسى كاجهنكاندواتزى Moïse Kaghancandouatzi وسبيوس وشابوه البجراطى Chapouh de Bagratouni وبعض مصادر التاريخ الكنسى . أنظر : Thopdschian, De Inneren Zustände von Armenien unter Asot I, M.S.O.S., Berlin, VII (1904), P. 7-8.

(١٤) لقب أسوليك (أسوجهيك) Asolik (Açoghik) لأنه كان خبيراً فى الأغانى والترانيم الدينية . ولقب أيضاً طارونتسى Taronetsi لأنه ولد فى الطارون . ويعد أسوليك مثله مثل جيفوند وموسى الخوريني وجون كاثوليكوس من مؤرخى أسرة بجراط . ومن المعتقد أنه ولد بعد عام ٩٢٧ م . (أنظر : Asolik, I, P. XXI.) وظل على قيد الحياة حتى سنة ١٠٢٣ م (أنظر Asolik, I, P. XXIII.) وقد توقف عن سرده التاريخى سنة ١٠٠٤ م . (أنظر : Asolik, I, P. XXI. . ونشر دولوريه Dulaurier الكتاب الأول من مصنف أسوليك . ويمكننا القول أن أسوليك انقض على مصنف جيفوند إنقضاضاً ، فنقل عنه الكثير . وضم الكتاب الأول تلخيصاً لما زودنا به جيفوند من تفاصيل ، تماماً كما فعل جيفوند بمصنف سبيوس وعنوانه « تاريخ هرقل » إذ نقل عنه أحداث الفتوحات الإسلامية لأرمينية فى عصرها المبكر والتى كان سبيوس الشاهد العيان الوحيد لها . أما كتابا أسوليك الثانى والثالث ، فقد نشرهما فريدريك ماكلير F. Macler فى مجلد واحد . وتمثل أحداث الكتاب الثالث مكانة تاريخية هامة ، وذلك لكون أسوليك شاهد عيان لأغلب ما يرويه . ففى هذا الكتاب ، يعالج أسوليك الأحداث من سنة ٨٨٧ م أى بدايات تأسيس مملكة أسرة بجراط ، وينتهى به المطاف سنة ١٠٠٤ م (أنظر : Asolik, I, P. XIV) .

ولكون أسوليك مصدر ثقة فى كتاباته التاريخية ، لذا نقل عنه أريستاكيس اللاستيفرتى Aristakès de Lastivert ما أورده عن داود الايبيرى وعلاقته بالامبراطورية البيزنطية . وقد أشار =

وفاردان(١٥) Vardan وغيرهم . ومع ذلك ، عندما Etienne Asolik

= أريستاكيس إلى ذلك صراحة . (أنظر : Aristakès de Lastivert, Histoire des Malheurs de la Nation Arménienne, Tr. M. Canard, Bruxelle, 1973, Ch. II, P. 9. .

وكذلك فايز نجيب اسكندر : أرمينيه بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة فى ضوء كتابات أريستاكيس اللستيفرتى ـــ الاسكندرية ١٩٨٣) .

وقد أدرجه مكهيثار فى ثبت المؤرخين بين جون كاثوليكوس وأريستاكيس اللاستيفرتى . أنظر : Brosset, Description du Couvent D'Aïrivank, Dans Ruines D'Ani, St. Pétersbourg, 1862, P. 163.

(١٥) خصص المؤرخ الأرمنى فردان قسما من مصنفه وعنوانه « التاريخ العالمى » Histoire Universelle للحديث عن « السيادة الإسلامية على أرمينية » . وقام ملدرمان Muyldermans العالم الفرنسى الأرمنى الأصل بنشر هذا القسم تحت عنوان "La Domination Arabe en Arménie" . قسم ملدرمان مصنفه إلى أربعة موضوعات . الأول : أورد فيه ما أورده فردان عن حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وأعماله . أما الثانى ، فخاص بعصر الخلفاء الراشدين والخلافة الأموية . ثم تناول فى الثالث عصر الخلفاء العباسيين حتى عهد الخليفة المتوكل . وأخيراً يأتى الموضوع الرابع خصصه فردان للحديث عن أحوال أرمينية فى عهد أشوط الكبير . (أنظر : Vardan le Grand, Louvain, 1827, P. 31.) .

وفردان من مؤرخى القرن الثالث عشر الميلادى ، إذ توفى سنة ١٢٧١ م . ولا نعرف على وجه الدقة تاريخ ميلاده . وتحتل حوليته « التاريخ العالمى » مكانة هامة لدارسى اللاهوت والأدب والتاريخ فى أرمينية آنذاك . عالج فردان كعادة مؤرخى عصره الوسيط الأحداث التاريخية دون بحث أسبابها ونقدها وتحليلها . إلا أنه كان مؤرخاً أميناً ، إذ ذكر المصادر التى استقصى منها مادته التاريخية ، والبعض منها لا يزال مجهولاً مما أضفى على مصنفه أهمية بالغة . ومما يزيد من قيمة مصدره ما زودنا به عن المغول ، حيث كان شاهد عيان ، بل وشارك فى نسج خيوط أحداث عصره ، إذ قابل العامل المغولى هولاكو كمندوب عن الشعب الأرمنى وذلك عقب اجتياح المغول لأرمينية (لمزيد من التفاصيل أنظر : Vardan, P. 7-71) .

وستظهر قريباً إن شاء الله دراسة أعددتها عنوانها « السيادة الإسلامية على أرمينية » فى كتاب المؤرخ الأرمنى فردان ، وذلك بعد أن زودنا المكتبة العربية بالعديد من الدراسات عن تاريخ الأرمن نذكر منها : « أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين » ـــ الإسكندرية ١٩٨٢ ؛ « الفتوحات الإسلامية لأرمينية فى كتابات المؤرخ الأرمنى جيفوند ـــ الاسكندرية ١٩٨٣ ؛ أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة » ـــ الاسكندرية ١٩٨٣ م ؛ « سقوط العاصمة الأرمنية آنى فى قبضة السلطان السلجوقى ألب أرسلان سنة ٤٦٣ هـ فى ضوء مخطوط سبط بن الجوزى » ـــ الاسكندرية ١٩٨٥ ؛ « الحياة الإقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى ـــ القاهرة ١٩٨٨ » ثروات أرمينية فى عهد أسرة بجراط » (بالفرنسية) القاهرة ١٩٨٨ ؛ « غزو الإمبراطورية البيزنطية لارمينية سنة ١٠٤٥ م » ـــ القاهرة ١٩٨٨ م .

وبدراسة تحليلية مقارنة ، نلاحظ أن فردان نقل عن سبيوس بإيجاز شديد . ويتضح لنا ذلك بمقارنة الفصول والصفحات التالية :

Vardan, II, P. 74-75.	مع	Sébêos, XXX, P. 96.
Vardan, II, P. 75-76.	مع	Sébêos, XXX, P. 96-98.
Vardan, II, P. 82.	مع	Sébêos, XXX, P. 98.

نفحص أسلوبه فى الكتابة التاريخية وطريقة سرده للأحداث ، يتضح لنا أنه تأثر بمؤرخى الروم بل واستخدم بعض المصادر البيزنطية . إذ سار على منهاج المؤرخين البيزنطيين فى سرد الأحداث دون تناولها بالتعليق والشرح والتفسير والتمحيص كما سبق أن ذكرنا . ويؤخذ عليه أيضاً إنتقاله المفاجئ من حادث إلى آخر ...

والجدير بالملاحظة أن مصنف « تاريخ هرقل » لسبيوس لا يقتصر على تاريخ هذا الإمبراطور البيزنطى فقط ، بل يذكر أحداثاً أخرى لا علاقة لها بهرقل . وعلى هذا ، فالعنوان لا يتفق مع الأحداث الكثيرة والمتنوعة التى تناولها المؤرخ ، ومع ذلك فهو يتفق مع جزء من محتويات المصنف . فقد تحدث سبيوس عن حروب الامبراطور هرقل (٦١٠ ــ ٦٤١ م) مع كسرى الثانى (٥٩٠ ــ ٦٢٨ م) ، ثم إبرامه إتفاقية سلام مع إبنه شيرويه . من هذا يتضح أن هذا المصدر حافل بأحداث تتعلق بتاريخ إمبراطورية الفرس الساسانية . إضافة إلى ذلك ، أمدنا المصنف بتفاصيل ممتعة ومفيدة عن أسلاف ومعاصرى وخلفاء هذين الحاكمين . لذا ، يعد « تاريخ هرقل » على درجةٍ كبيرة من الأهمية لدارسى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وإمبراطورية فارس الساسانية(١٦) .

والجدير بالتسجيل فى هذا التحليل أن سبيوس كتب مصنفه فى الربع الثالث من القرن السابع الميلادى . وقد خصص الثلث الأخير منه ليرسم لنا لوحة واضحة عن الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس وأرمينية وبلاد الروم . لذا ، فهو يعد من المصادر المعاصرة للفتوحات الإسلامية المبكرة ؛ إذ انفرد دون غيره من المصادر الأرمنية والإسلامية والبيزنطية والسريانية بتزويدنا بتفاصيل أحداث هذه الحقبة الهامة والتى

---

(١٦) للتفاصيل أنظر : Sébēos, XXVI-XXVII, P. 77-87.
أنظر أيضاً : Der Nersessian, Byzance et L'Arménie, Louvain, 1973, P. 311.

امتدت من سنة ٦٤٠م /١٩ هـ حتى سنة ٦٦١ م /٤٠ هـ والتى عاصر أحداثها العاصفة نتيجة إنتشار الفتوحات الإسلامية بسرعة تبعث على الإعجاب(١٧) حتى أن المؤرخ الأرمنى جيفوند Ghévond — مؤرخ القرن الثامن الميلادى /القرن الثانى الهجرى — شبه فى مصدره « تاريخ حروب وفتوحات العرب فى أرمينيه » Histoire Des Guerres et des Conquêtes des Arabes en Arménie ألمقاتلين المسلمين « بالحية الطائرة »(١٨) .

ويعد الأسقف سبيوس المؤرخ الأرمنى الوحيد من مؤرخى القرن السابع الميلادى /القرن الأول الهجرى الذى تناول بالسرد التفصيلى أحداث الحملات التى شنها المسلمون على وطنه أرمينية . إلا أنه يؤخذ عليه تجاهل ذكر أخبار حملة المسلمين الأولى على بلاده سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م رغم كونه معاصراً للأحداث(١٩) . ويبدو أن سبب إغفال سبيوس عن ذكر تفاصيلها راجع إلى كونها حملة استطلاعية استكشافية ، إنتهت بعودة المسلمين إلى دار الإسلام ليعدوا الخطة لفتح العاصمة الأرمنية دوين ، خاصة بعد أن عرفوا مسالك البلاد وممالكها ودروبها(٢٠) .

« وسبيوس » مؤلف « تاريخ هرقل » أشار إليه اتيين أسوليك الطارونى(٢١) ، إذ أدرجه بين فست البيزنطى Fauste de Byzance

(١٧) A. Baumgartner, Ueber das Buch "Die Chrie", Leipzig, 1886, P. 466-467.

(١٨) Ghévond, Ch. III, P. 7. Cf. Grousset, Histoire de L'Arménie, Paris, 1973, P. 296.

(١٩) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة أنظر : فايز نجيب اسكندر : الفتوحات العربية لأرمينية — دراسة تأريخية للحملة الأولى سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م — مجلة سرتا — يصدرها . دورياً معهد العلوم الإجتماعية بجامعة قسنطينة بالجزائر — العدد الثامن سنة ١٩٨٣ م .

(٢٠) زودنا هوبشمان Hübschmann بدراسة تحليلية نقدية قيمة لمصنف سبيوس للتفاصيل أنظر : Zur Geschichte Armeniens und der Ersten Kriege der Araber, aus dem Armenischen des Sébēos... (S.L.N.D.), P. 1-10.

(٢١) عن إتيين أسوليك الطارونى أنظر حاشية رقم ١٤ .

والأسقف جيفوند[٢٢] . وأشار إليه أيضاً جيراجوس الجندزاكى (أو الكنجى)[٢٣] Guiragos de Gandzak .

ولقد أدرك المؤرخين المحدثون مدى أهمية مصنف سبيوس كمصدر معاصر وشاهد عيان لتاريخ امبراطورية فارس الساسانية والإمبراطورية البيزنطية والمسلمين ، فشرعوا منذ عام ١٨٥١ م فى إصدار العديد من الترجمات لهذا المصدر التاريخى العام . إذ تُرجم إلى اللغات الأرمنية الحديثة والروسية والألمانية والفرنسية وكان أكمل وأدق هذه الترجمات تلك التى أعدها بالفرنسية العالم فريدريك ماكلير Frédéric Macler تحت عنوان Histoire D'Héraclius Par L'Evèque Sébêos, Paris, 1904 .

هذا عن الأسقف سبيوس ، المؤرخ الوحيد المعاصر للفتوحات الإسلامية الأرمينية . أما مصنفة ، فيهمنا تسليط الأضواء على الفصول المتعلقة بموضوع بحثنا دون غيرها . وتبدأ من الفصل الثلاثين وتنتهى بالفصل الثامن والثلاثين حيث اختتم سبيوس مصدره بإظهار شماتته فى اندلاع الفتنة بين على ومعاوية . وأنهى مصدره بذكر انتصار معاوية وانتشار السلام فى ربوع دار الإسلام .

خصص سبيوس الفصل الثلاثين[٢٤] من مصدره للحديث عن ظهور الرسول (عليه الصلاة والسلام) وانتشار الإسلام فى شبه الجزيرة العربية[٢٥] . وإعترف فى كتاباته المبكرة هذه ، بأن الحماسة

(٢٢) Asolik, I, P. 4. أنظر أيضاً : Arzoumanian, P. 10.

(٢٣) Guiragos de Gandzak, Histoire D'Arménie, Venise, 1865, P. 3.
وجيراجوس الجندزاكى من مؤرخى القرن الثالث عشر الميلادى .

(٢٤) Sébêos, XXX, P. 94-102.
وقد ترجم هذا الفصل إلى الفرنسية إدوارد دولوريه (أنظر :
E. Dulaurier, Recherches sur la Chronologie Arménienne, T. I, Paris, 1859, P. 210 SQQ.
كذلك ترجمه إلى الألمانية هوبشمان . أنظر : Zur Geschichte Arméniens, P 10 SQQ.

(٢٥) Sébêos, XXX, P. 94-95.

الدينية التى بثها الرسول (عليه الصلاة والسلام) فى نفوس الجيوش الإسلامية المقاتلة ، والحث على الجهاد للفوز بفردوس النعيم ، وما جاء به القرآن الكريم من أن الإسلام إنما هو دين العالمين وأن هذه الرسالة يجب أن تبلغ لكافة البشر ؛ دفع ذلك الإيمان بالمقاتل المسلم للاستشهاد فى سبيل نشر هذا الدين خارج حدود الجزيرة العربية والدفاع عنه(٢٦) . لذا ، كان المقاتل المسلم أشد حماساً فى خوض غمار الحرب من الجندى البيزنطى . وبذلك كان سبيوس سباقاً فى إظهار أهمية الجهاد فى الإسلام ، بل أورد الآية القرآنية الكريمة القائلة « إن ينصركم الله فلا غالب لكم »(٢٧) .

وهكذا تشكل جيش من المسلمين هائل العدد . وأورد سبيوس فى ثلاثة أسطر أخبار معركة أجنادين سنة ١٣ هـ/٦٣٤ م ، إذ ذكر أن المسلمين شنوا هجوماً مباغتاً على البيزنطيين بقيادة ثيودوروس شقيق هرقل ، فراح الجيش البيزنطى ضحية لسيوفهم ، ولاذ ثيودوروس بالفرار منسحباً إلى القدس ثم إلى قيسارية ليعيد تنظيم صفوفه(٢٨) . بعد ذلك تحدث عن سفارة أرسلها المسلمون الظافرون إلى الإمبراطور البيزنطى هرقل (٦١٠ — ٦٤١ م) يطالبونه بالتنازل عن الأراضى العربية التى احتلتها الإمبراطورية البيزنطية حتى يعم السلام بين الطرفين ، وإلا سيقوم المسلمون باجتياح إمبراطوريته ، وسيستعيدون بالقوة الأراضى المغتصبة . إلا أن الإمبراطور البيزنطى رفض الإذعان لمطالبهم ، وأرسل كتاباً إلى خليفة المسلمين جاء فيه

---

(٢٦) Sébēos, XXX, P. 95-96; Ghévond, I, P. 2.
والملاحظ أن جيفوند نقل عن سبيوس أهمية الجهاد فى الإسلام .

(٢٧) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية ١٦٠ . أنظر أيضاً : Sébēos, XXX, P. 96 .

(٢٨) Sébēos, XXX, P. 96. ولمزيد من التفاصيل عن معركة أجنادين ، ودراسة وتحليل مصادرها : أنظر رسالة الدكتوراه القيمة التى أعدتها الدكتورة ليلى عبد الجواد بعنوان : الدولة البيزنطية فى عصر الامبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين — القاهرة ١٩٨٥ — ص ٣٦٤ — ٣٦٨ .

« هذه البلاد ملك لى . أما ميراثك وأرضك فهى الصحراء العربية [أى شبه الجزيرة العربية] ، فاذهب فى سلام إلى أراضيك[٢٩] » . وأسرع هرقل بحشد سبعين ألف مقاتل ، وأسند قيادة جيشه إلى أحد طواشيه المخلصين ، وأمره بالزحف على بلاد العرب . وأصدر أوامره إلى جنوده بأن لا يخوضوا الحرب ضد المسلمين ، لكن عليهم اتخاذ موقف الدفاع إنتظاراً لتعبئة جيوش أخرى سيرسلها إليهم للانخراط فى صفوفهم[٣٠] .

بعد ذلك ترك البيزنطيون معسكرهم على شاطئ نهر اليرموك وذهبوا للقاء عدوهم وهم مشاة[٣١] . حينئذ تربص فيلق من جيوش

(٢٩) Sébēos, XXX, P. 96.

(٣٠) Sébēos, XXX, P. 96-97. Cf. Murall, Essai de Chronographie Byzantine, St. Pétersbourg, 1855, T. I, P. 289.

(٣١) على الرغم من نقل جيفوند عن سبيوس وميله إلى الايجاز الشديد فى حديثه عن فتوحات الخلفاء الراشدين ، وعزمهم فتح بيت المقدس ، إلا أنه زودنا بمعلومات جديدة ، خاصة عند حديثه عن أسباب هزيمة البيزنطيين وانتصار المسلمين . إذ ذكر فى هذا الصدد أن أهل فلسطين طلبوا من المسلمين الإسراع بمساعدتهم وتخليصهم من الاضطهاد الدينى من قبل الروم وأنه عقب تحرير أراضيهم ، سيديران البلاد معاً ، لذا تشجع المسلمون بهذه المقترحات ، وقرروا فتح فلسطين . ويواصل جيفوند حديثه قائلاً إن الامبراطور البيزنطى هرقل (٦١٠ — ٦٤٠ م) — فور علمه بمخططات المسلمين — أسرع بإصدار أوامره إلى الحاكم العسكرى لفلسطين قائلاً له . « علمت أن المسلمين قد عقدوا العزم على مهاجمة فلسطين وبلاد الشام . فاحشد إذن جيوشك ، وتقدم لقتالهم وإيقاف زحف جيوشهم ، واحم أملاكنا من الدمار والخراب والوحشية ، وأسرع بتعبئة جيوشك إستعداداً لحربهم » . (أنظر Ghévond, I, P. 2-3.) . فأسرع حاكم فلسطين فور تلقيه هذا الأمر ، بالكتابة إلى القادة التابعين له يأمرهم بالإنخراط بجيوشهم فى صفوفهم . وزحف الجميع لقتال المسلمين ، وتقابل الجيشان المتصارعان ، ويصف جيفوند ذلك الاقتتال قائلاً : « كان المسلمون يشبهون أسراب الجراد ، لكثرة خيولهم وجمالهم » (أنظر Chévond, I, P. 3.) ثم يفند لنا أسباب هزيمة البيزنطيين ، مسلطاً الأضواء عفواً على أخطائهم الاستراتيجية . ولم يفته ذكر أثر العوامل الطبيعية والجغرافية والطبوغرافية فى دحر الجيش البيزنطى ، إذ قال فى هذا الصدد « أخطأ البيزنطيون خطأ فاحشاً ، إذ تركوا الخيول والأمتعة فى معسكرهم ، وابتعدوا عنه لمسافة عدة فراسخ . ومما زاد الطين بلة أنهم إستعدوا لقتال المسلمين وهم مشاة ، فى أرض وعرة غزيرة الرمال . لهذا دب الاضطراب فى صفوفهم نتيجة إشتداد حرارة الشمس . أضف إلى ذلك رزوح جنودهم تحت وطأة أسلحتهم . فانتهى بهم الأمر إلى الهزيمة الساحقة أمام جيش المسلمين » . أنظر Ghévond, I, P. 3. والجدير بالذكر أن رواية سبيوس عن معركة اليرموك اختلفت كثيراً عن ما جاء فى المصادر الإسلامية والبيزنطية . ولمزيد من التفاصيل الدقيقة عن هذه المعركة الفاصلة انظر : ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٣٧٤ — ٣٨٢ .

المسلمين فى كائن بأماكن مختلفة ومتفرقة ، ونصبوا خيامهم حول معسكرهم ، ثم أحاطوا معسكرهم وخيامهم بالجمال ، بعد أن قاموا بربط أرجل الجمال بالحبال على حد قول سبيوس .

هذا عن تحصينات معسكر المسلمين . أما الروم ، فقد كان جيشهم منحور القوى ، بسبب سيره لمسافات طويلة . وبالرغم من ذلك فقد انقض على المسلمين . عندئذ انطلق المسلمون من كائنهم وانقضوا كالصاعقة فى هجوم مباغت على الجيش البيزنطى الذى ساد صفوفه الفزع والهلع والإضطراب ، فكان النصر حليف المسلمين(٣٢) . عقب ذلك حاول البيزنطيون الفرار نتيجة عنف الهجوم الإسلامى ؛ إلا أنهم فشلوا فى تحقيق مسعاهم . وأرجع سبيوس سبب ذلك إلى غزارة رمال أرض المعركة حتى أن الجندى البيزنطى كان ينغرس فيها حتى ركبتيه ، فى حين أخذ المسلمون فى مطاردة الفارين . إضافة إلى ذلك لم يتحمل الجيش البيزنطى شدة حرارة شمس الصيف المحرقة ، فتساقط المقاتلون البيزنطيون بين قتيل وجريح حتى يقال أن عدد القتلى تعدى الألفين(٣٣) . ولم يفلت من هذه المذبحة إلا أعداد قليلة(٣٤) .

ويؤخذ على سبيوس ومؤرخى الأرمن عامة إغفالهم ذكر دور

(٣٢) أرجع سبيوس تفشى الرعب فى صفوف الجيش البيزنطى إلى انتقام الهى ، لأن الروم اضطهدوا الأرمن واذاقوهم الأمرين لإجبارهم على إعتناق مذهب الطبيعتين الذى أقره مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م . ففى هذا الصدد يقول "Une Frayeur Inspirée par le Seigneur S'Empare de L'Armée des Grecs". أنظر Sébēos, P. 97. أما جيفوند ، فقد علق على ذلك بقوله : « كان ذلك إنتقاماً إلهياً من الشعوب المسيحية ، لما اقترفته من خطايا وذنوب انظر Ghévond, I, P. 1-2.

(٣٣) عن المبالغة فى أعداد القتلى والمحاربين فى معركة اليرموك أنظر :
Hübschmann, Zur Geschichte, P. 13, n. 1.

(٣٤) Sébēos, XXX, P. 97-98. والملاحظ أن جيفوند لخص رواية سبيوس . أنظر : Ghévond, I, P. 3. وقارنه مع Sébēos, XXX, P. 97-98.

الأرمن فى معركة اليرموك سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م ، إذ انخرطت كتيبة أرمنية بقيادة جيورجيوس Georguis فى صفوف الجيش البيزنطى . ويقال إن انسحاب الأرمن من ميدان القتال كان سبباً فى هزيمة جيش هرقل(٣٥) . إلا أن فى هذا القول الكثير من المبالغة .

على أية حال ، بعد هذا النصر الحاسم ، عبر المسلمون نهر الأردن فانتاب الهلع سكان هذه المنطقة ، وأذعنوا للسيادة الإسلامية . ويذكر سيبوس أنه عقب هذه المعركة الفاصلة ، لم يجرؤ الإمبراطور البيزنطى على مواجهة المسلمين . وكان هذا الإنتصار مشجعاً لهم على اقتطاع أوصال بلاد الروم ؛ إذ أرسل المسلمون الفيلق الأول من جيشهم إلى مصر ، فاجتاحها إلى أن وصل إلى الإسكندرية . أما الفيلق الثانى ، فقد اتجه شمالاً حيث استولى فى لمح البصر على الأراضى الممتدة من شواطئ البحر المتوسط حتى شواطئ نهر الفرات ، ثم نجح فى فتح الرها ومعظم مدن الجزيرة الفراتية . أما الفيلق الثالث ، فقد زحف نحو الشرق لإفتراس إمبراطورية فارس(٣٦) . وقبل بداية الأعمال الهجومية فى الجبهة الشرقية ، توحدت صفوف الجيش الإسلامى وزحف الجميع لمحاصرة « طيسفون » (المدائن) Tizbon حيث كان يقيم الملك الفارسى(٣٧) .

أمام هذا الخطر الداهم ، حشد الملك الفارسى ثمانين ألف مقاتل من الميديين — أى من سكان إقليم الجبال — للقاء المسلمين ، وترأس هذا الجيش الجرار قائده رسم . فقام الجيش الفارسى بعبور الجانب الآخر من نهر دجلة ، فأسرع المسلمون بمطاردة الفرس الذين بدورهم أسرعوا بالإنسحاب إلى أن وصلوا إلى قرية تسمى « هرتيشان » Herthiĉan . أما المسلمون فقد نجحوا فى ملاحقة جيش الفرس المنسحب ،

(٣٥) Sébēos, XXXM P. 97, n. 2. Cf. De Goeje, Mémoires Sur la Conquête de Syrie, P. 106-107, 118, 12?

(٣٦) Sébēos, XXX, P. 98.

(٣٧) Sébēos, XXX, P. 98.

وانتهى بهم المطاف إلى أن أقاموا معسكرهم فى منطقة سهلية على مقربة من معسكر الأمير الأرمنى « موشيل ماميكونيان » Musel Mamikonien ابن داود Divid . وكان موشيل قد تمكن من تعبئة جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل أرمنى من أرمينية الفارسية ، وسلحهم أحسن تسليح . كذلك انخرط فى صفوف الفرس كتيبة أرمنية أخرى قوامها ألف مقاتل بقيادة الأمير « جرايجوار » أمير سيونيك (سيونى)(٣٨) Siunie . ويرجع سبب اشتراك الأرمن فى المواجهة الإسلامية الفارسية ثم فى المواجهة الإسلامية البيزنطية إلى أن أرمينية كانت ــ قبل الفتح الإسلامى لأراضيها ــ مقسمة بين دولتى الفرس الساسانية والروم البيزنطية . لهذا كان الأرمن ينخرطون فى صفوف القوات المقاتلة لهاتين الإمبراطوريتين .

على أية حال ، سرعان ما اندلع القتال بين المسلمين والفرس ، فلاذ الجيش الفارسى بالفرار من ساحة القتال ، فقام المسلمون بمطاردته ، وأخذت سيوفهم تقتل فى الفرس تقتيلاً . وراح ضحية هذه المعركة كبار اشراف فارس وقائدهم رستم . أضف إلى هؤلاء الأمير الأرمنى موشيل ماميكونيان وإبنى شقيقه والأمير الأرمنى الثانى جريجوار أمير سيونيك وأحد أبنائه . أما الباقون ، فقد لاذوا بالفرار إلى بلادهم(٣٩) .

وأخيراً ، وصل الجيش الفارسى الهارب من ساحة القتال إلى آذربيجان ، حيث أعاد تجميع صفوفه ، واختار الجنود كزوبوكسازات(٤٠) Xopoxazat قائداً لهم . فما كان من القائد

(٣٨) انفرد سبيوس دون غيره من مؤرخى الأرمن يذكر انخراط الأرمن فى صفوف الجيش الفارسى فى معركة القادسية سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م . أنظر : .F. Grousset, Sébēos, XXX, P. 98-99)
P. 296; Der Nersessian, The Armenians, Norwich, 1972, P. 32.

(٣٩) Sebēos, XXX, P. 98-99. Cf. Grousset)

(٤٠) للتفاصيل عن خليفة رستم فى قيادة الجيش الفارسى أنظر :
Hübschmann, Armenische Grammatik, I, Theil. Leipzig, 1895 et 1987, P. 43.

الجديد أن أسرع إلى طيسفون حيث استولى على كل كنوز إمبراطورية فارس ، وقرر تهجير سكان المدن إلى آذربيجان . إلا أنه بمجرد ابتعاده قليلاً عن طيسفون ، باغته المسلمون ، وانقضوا عليه إنقضاض الأسد على فريسته . فدب الهلع والفوضى والإضطراب فى صفوف الجيش الفارسى ، ولاذ الجميع بالفرار إنقاذاً لأرواحهم ، ولم يعبأ أحد بالإحتفاظ بالكنوز الهائلة ولا الدفاع عن سكان المدن المهجرة . أما القائد الفارسى الجديد ، فقد فر متوجهاً إلى جيشه فى جنوب البلاد . فى حين استولى المسلمون الظافرون على خزائن فارس ، وعادوا إلى طيسفون حيث أسروا جموعاً لا تحصى من سكانها ، وأتوا على المدن الفارسية التى سقطت دون أية مقاومة تذكر فى أيديهم(٤١) .

هكذا ، انفرد سيبوس — دون غيره من المؤرخين — بذكر أن الأرمن كانوا طرفاً فى القتال الضارى بين المسلمين والفرس ، وذلك فى موقعة القادسية سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م . ففى هذه المعركة ، أرسل الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ — ٢٣ هـ/٦٣٤ — ٦٤٤ م) جيشاً كبيراً بقيادة سعد بن أبى وقاص لقتال الفرس . وانتصر المسلمون إنتصاراً حاسماً فى هذه الموقعة ، وتمزق جيش الفرس وأعوانه من الأرمن بعد مقتل القائد الفارسى رستم . وتعتبر موقعة القادسية من المعارك الفاصلة فى التاريخ ، إذ كانت بمثابة المسمار الذى دق فى نعش إمبراطورية فارس .

وبعد ذكر أخبار الصراع الإسلامى الفارسى ، أورد سبيوس أن الإمبراطور هرقل توفى ، بعد أن حكم الإمبراطورية البيزنطية لمدة ثلاثين عاماً على حد قوله(٤٢) ، وخلفه على العرش إبنه قسطنطين(٤٣)

(٤١) Sébêos, XXX, P. 99. Cf. Dulaurier, Chronologie Arménienne, P. 214.

(٤٢) مات هرقل فى الحادى عشر من مارس سنة ٦٤١ م عن عمر يناهز السادسة والستين ، بعد أن حكم الإمبراطورية البيزنطية لمدة ثلاثين عاماً وعشرة أشهر وخمسة أيام وهذا يتعارض مع ما أورده سبيوس أنظر : Murait, I, P. 292.

(٤٣) هو قسطنطين الثالث الإبن الأكبر لهرقل . اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية فى الثانى عشر من =

Constantin . ثم عاد وتحدث عن أحوال أرمينية آنذاك ، وذكر أنها كانت محرومة من زعيم أو قائد يسير أمورها أمام متقلبات العصر الجارفة ، وأرجع سبب ذلك إلى انعدام وحدة الصف ؛ وتفرق كلمة أشراف البلاد ، وتنافسهم وتصارعهم فيما بينهم(٤٤) . وهكذا كان سبيوس دقيقاً وبليغاً فى وصف أحوال أرمينية المتردية قبيل الفتوحات الإسلامية . إذ فقدت أرمينية إستقلالها على مر العصور بسبب التناحر والتطاحن بين كبار رجال الإقطاع الأرمن ، ومناصبتهم العداء لملوكهم . وكانت أرمينية مكونة من خمسة عشر إقطاعية تخضع كلها للملك الأرمنى فى الأمور العامة ، لكن كان لكلٍ منها ميزانيتها الخاصة ، وجيشها ، وإدارتها تحت إمرة أمير إقطاعى . وكان على كل إقطاعية أن تقدم إلى الملك قرضاً من المال والجنود عند إندلاع الحروب . إلا أنهم لم يكونوا وحدة قومية ، ولا تآلفت صفوفهم لمجابهة الأعداء . وبذلك يتضح أن من أهم أسباب تدهور البلاد وتصدع بنيانها هى أنانية أمراء الإقطاع الأرمن وجهلهم ، وترجيحهم منافعهم الخاصة على المصلحة العامة غير واضعين فى إعتبارهم للطوارئ والعواقب حساباً . فحين تدعو الظروف الصعبة الحاجة إلى المؤالفة ونسيان الأحقاد الشخصية ، نجدهم ينسحبون من مكان الأخطار ، أو يبقون على الحياد ، أو يناصرون العدو . وهكذا ، يجد الملك ـــ وهو الأول بين أقرانه أمراء الإقطاع ـــ نفسه عاجزاً عن لم الشعث وتوحيد الصفوف ، لحشد القوة الكافية لمواجهة الأعداء . أضف إلى ذلك أن الوضع الجغرافى الأرمينية وتشكيلاتها الجيولوجية ، وصعوبة مواصلاتها

= مارس سنة ٦٤١ م أى فى اليوم التالى لوفاة والده . قتل مسموماً على يد مارتينا Martina ، زوجة هرقل الثانية وذلك بعد أن حكم الإمبراطورية البيزنطية لمدة أربعة أشهر فقط : أنظر : Muralt, I, P. 292.

(٤٤) Sébêos, XXX, P. 100.

واتصالاتها ، كانت عوامل مساعدة على الشتات ، وانعدام وحدة الصف ، وصعوبة حشد الجنود لمجابهة الأفكار(٤٥) .

لذلك كان لموقع أرمينية بين شعوب متعادية أثره البالغ على تسيير مجرى تاريخها ، إذ جعلها طعمة لجيرانها منذ قديم الزمان ، كالسلوقيين والرومان والبيزنطيين من ناحية — وممالك فارس من ناحية أخرى . وقد تمكن فرع من أسرة الأرشكانيين (البارثيين الفارسية) من تكوين ملك بأرمينية دام أربعة قرون . ثم سيطر الساسانيون على جزء كبير منها ، كذلك تمكن البيزنطيون من الاستيلاء على الأجزاء المجاورة لهم ؛ أما الخزر ، فقد استولوا على أجزاء أخرى منها . وفى عهد هرقل ، ضم البيزنطيون الجزء الأكبر من أرمينية وذلك عقب انتصارهم على الفرس(٤٦) .

إلا أن الحرب المقدسة التى أعلنها هرقل على امبراطورية فارس ، والتى استمرت من سنة ٦٢٢ م إلى سنة ٦٢٨ م ، سير خلالها ست حملات ظافرة(٤٧) ؛ كانت تخفى فى طياتها عواقب وخيمة أتت على القوتين العظميين آنذاك . فهذه الحرب أنهكت قواهما ، وهيأت بذلك للمسلمين الفرصة السانحة لتحقيق انتصارات ساحقة على طرفى القتال . إذ تمكن المسلمون من دك صرح عرش فارس وإقتطاع أوصال بلاد الروم .

على أية حال ، بعد أن تحدث سبيوس عن فتح المسلمين لبلاد فارس ، تناول بالسرد التفصيلى أحداث الفتوحات الإسلامية فى بلاده

(٤٥) Aritakès de Lastivert, P. 3, n. 2 : Cf. Laurent, L'Arménie Entre Byzance et L'Islam, P. 101, SQQ.

(٤٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية — القاهرة ١٩٦٥ — حـ ١ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

(٤٧) ناصر الأرمن الإمبراطور البيزنطى هرقل فى حربه ضد الفرس . للتفاصيل أنظر : Sébêos, XXVI-XXVII, P. 77-87.

أرمينية . وقد استهل ذلك بذكر رحيل جيش المسلمين من أرض العراق وبلاد الشام ويسميها « أزورستان »(٤٨) Asorestan ، متخذاً طريق دزور(٤٩) Dzor ، هادفاً الوصول إلى إقليم الطارون(٥٠) Tarôn . وتمكن بذلك من الإستيلاء على بزنونيك(٥١) Bznunis

(٤٨) أطلق مؤرخو الأرمن على أرض العراق وبلاد الشام اسم « ازورستان » Asorestan . أنظر Sébēos, XXX, P. 100; 152; Vardan, P. 83, n. 1; Asolik, P. 152. Cf. Hübschmann, Arménische Grammatik, P. 22; Marquart, J., Eransahr Nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i, Berlin, 1901, P. 21.

وعنها قال المسعودى أن الروم تسمى « البلاد التى سكانها المسلمون فى هذا الوقت من الشام والعراق وسوريا ، والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم فى هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشام سورستان إضافة إلى السريانيين الذين هم الكلدانيون ، ويسمون سريان ولغتهم سورية وتسميتهم العرب النبط » (أنظر التنبيه والإشراف — ليدن ، مطبعة بريل — ١٨٩٣ م ، ص ١٥٠) . أما ياقوت الحموى فيقول عن سورستان : « وإليها ينسب السريانيون وهم النبط ، وأن لغتهم يقال لها السريانية . وقال أبو الريحان : والسريانيون منسوبون إلى سورستان ، وهى أرض العراق وبلاد الشام » ، أنظر : معجم البلدان ، حـ ٥ ، ص ١٦٩ .

وقد وصف الطبرى فتح الجزيرة قائلاً : « إنها كانت أسهل البلدان أمراً وأيسرها فتحاً » . للتفاصيل عن الفتوحات الإسلامية أنظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك — مكتبة خياط بيروت — حـ ٤ ، ص ٣٢ — ١٦٢ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان — تحقيق صلاح المنجد — حـ ١ ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٤٩) فى جيفوند « دزورايا » Dzoraya وليس « دزور » Dzor (أنظر : ;Sébēos, XXX, P. 100) Ghévond, III, P. 7, n. 2. ودزور وادى وممر ضيق وسط الجبال . أنظر Ghévond. P. 7, n. 2.

(٥٠) إقليم الطارون وعاصمته موش Moush من الأقاليم الخصبة ، ويقع فى مقاطعة دوروبيران Douroupéran فى وادى أردزانى Aradzani ، أى الفرات الشرقى ، غرب بحيرة وان Van . وكان فى الأصل من أملاك أسرة ماميكونيان . وهو المهد الأول للمسيحية فى أرمينية . أنظر : Zénob de Klag, Histoire de Darōn, Tr. Paud'homme, J.A., 1863, P. 2.

ولمزيد من التفاصيل أنظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين ، ص ٩٢ — ٩٣ ، حاشية رقم ١٣٠ ؛ والحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى — القاهرة ١٩٨٨ — ص ١٢ .

(٥١) تقع بزنونيك Bznounik غرب بحيرة وان . والجدير بالذكر أنه يطلق على بحيرة وان أيضاً اسم بحيرة بزنونى Bznuni . أنظر Aridagues, Tr. Prud'homme, P. 100-101, n. 3. Cf. Laurent, P. 42, 289.

أنظر أيضاً : فايز نجيب اسكندر : الحياة الإقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى — القاهرة ١٩٨٨ — ص ١٠ ، حاشية رقم ١١ .

(Bznounik فى جيفوند) واليوفيت(٥٢) Aliovit . ثم توجه إلى وادى بركرى(٥٣) Berkri عن طريق أردسبوى Ordspor وكوجوفيت(٥٤) Gogovit (Kogovit فى جيفوند) . وبذلك انتشر المسلمون فى مقاطعة آرارات(٥٥) Ararat . ولم يتمكن أحد من جنود الأرمن من إعلان ذلك الخبر المشئوم فى مدينة دوين Dwin إلا ثلاثة من أمراء الأرمن (إسخانات Isxans) كانوا قد لاذوا بالفرار إليها للم شعث الصفوف المتفرقة بعد أن أمكن لهم أن يجاروا سرعة ذلك « الثعبان الطائر » على حد قول جيفوند . وهؤلاء هم ثيودور فهيوونى Thédoros Vahewuni وكزاشيان أباوليان Xachean Apawellean وشابوه أماتونى Sapuh Amatuni . إذ قام هؤلاء الثلاثة بتحطيم جسر

(٥٢) تقع اليوفيت Aliovit شمال بحيرة وان . أنظر : .Laurent, P. 42

(٥٣) قال أبو الفدا : « ومن أرمينية بركرى وقيل باكرى عن بعض أهلها أنها بلدة صغيرة وهى شرق خلاط ، على مسيرة يوم فى الجبال .

وعن المهّلبى أن بينها وبين أرجيش ثمانية فراسخ وهى خصبة كثيرة الخير ... ومن خوى إلى بركرى ثلثون فرسخاً ومن بركرى إلى أرجيش يومان » . أنظر تقويم البلدان ، من ٣٨٧ — ٣٨٨ ، ٣٩٠ . وتقع بركرى فى وسط وادٍ شمال شرق بحيرة وان ، وهى عاصمة إقليم اريرانى Arpérani فى مقاطعة الفاسبوراكان . (أنظر : Arisdagues, P. 50, n. 1; Constantine Porphyrogenitus, Vol. II, Commentary, P. 167. Cf. Canard, Hamdanides, 184, 188, n. 283; Saint-Martin, II, P. 137; Indjidj, Arménie Ancienne, P. 184; et Arménie Moderne, P. 167; Laurent, Arménie, P. 42.

وقد أخطأ سدرينوس حين أدرجها بالقرب من بابيلون (بابل) Babylone أى بغداد (أنظر Cedrenus, II, P. 502.) . وصحة ذلك أنها تقع شرق أرجيش . أنظر : Matthieu D'Edesse, XLIX, P. 396, n. 1.

(٥٤) يقع إقليم كوجوفيت Kogovit جنوب آرارات وعاصمته دريوانك Dariwnk . أنظر : Laurent, P. 24, 123.

(٥٥) آرارات Ararat مقاطعة أرمينية كبيرة . تمتد من باسيان Basean غرباً حتى أخوريان Axurean الرافد الأيسر لنهر الرس شرقاً . وجنوباً من نهر الرس Araxe حتى تورويران Turubéran ، وشمالاً حتى جوجارك Gugark .

أنظر : Fayez Naguib Iskandar, Les Richesses de L'Arménie au Temps des Bagratides, le Caire, 1988, P. 12.

مكموار[٥٦] Mecamawr بعد عبورهم له. وأخيراً، تمكنوا فى الوقت المناسب من الوصول إلى دوين[٥٧] ليعلنوا لأهلها هذا الخبر المحزن ، ألا وهو اقتراب المسلمين من المدينة . ثم أسرعوا بتعبئة سكانها الذين كانوا يستعدون، آنذاك لحصاد محصول الكروم . أما ثيودور ، فقد توجه إلى مدينة نقجوان[٥٨] Naxcawan .

وعندما وصل المسلمون إلى جسر مكموار ، لم يتمكنوا من عبوره ، لكنهم سرعان ما تمكنوا من تحقيق هدفهم بفضل أحد أمراء الأرمن الخونة ويدعى فرديك Vardik أمير موك[٥٩] Mokkh والملقب بأكنيك Aknik . وكان هذا الخائن قد دلهم على طريق آخر إلى دوين قربهم من أسوارها . وهكذا غنموا غنائم لا حصر لها ، وجمعوا أسرى هائلى العدد ؛ ثم أقاموا معسكرهم على حافة غابة كزراكرت Xosrakert . وفى اليوم الخامس ، انقضوا على المدينة كالصاعقة فقاومت العاصمة دوين مقاومة عنيفة نظراً لمناعتها الطبيعية وتحصيناتها . وأخيراً ، تمكن المسلمون من إخضاعها لسيادتهم ، بعد أن أحاطوها بألسنة اللهب عقب إضرامهم النار فى أطراف جميع الأسوار ، فقضوا على مقاومة الحامية بسبب الإختناق بالدخان وسيل السهام المنهمرة عليهم كالشتاء من كل فج وصوب. بعد ذلك أسرع المسلمون لارتقاء الأسوار بواسطة سلالم لا حصر لها ، فتسللوا إلى داخل المدينة التى فتحت لهم أبوابها . فشنوا أعنف هجماتهم على

(٥٦) مكموار Mecamawr هورافد أيسر لنهر الرس . أنظر : Laurent, P. 44; Saint-Martin, Mémoires, I, P. 40, 117; II, P. 402.

(٥٧) عن « دوين » أنظر : فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية لأرمينية ، ص ٩٥ — ٩٦ ، حاشية رقم ١٤٥ .

(٥٨) عن « نقجوان » أنظر : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٩٧ — ٩٨ ، حاشية رقم ١٤٩ .

(٥٩) تقع موك Mokkh جنوب بحيرة وان . أنظر : Laurent, P. 42. .

سكانها وقاموا بجمع الغنائم ، ثم إنسحبوا ثانية إلى معسكرهم . حدث ذلك فى يوم الجمعة العشرين من شهر ترى Tré على حد قول سبيوس .

بعد هذا الإنتصار ، جنح المسلمون إلى الاسترخاء بضعة أيام ، ثم إنسحبوا ثانيةً إلى بلادهم مصحوبين بجمع غفير من الأسرى بلغ خمسة وثلاثين ألف أسير . إلا أن الأمير الأرمنى ثيودور الرشتونى Théodoros Rstunis كان قد تكمن مع بعض من كتائب جيشه فى إقليم كوجوفيت ، وانقض على المسلمين العائدين إلى بلادهم . لكنه فشل فى مواصلة قتالهم ومواجهتهم ، فلاذ بالفرار . حينئذ ، قام المسلمون بمطاردته وتعقبوا فلول جيشه فأتوا على جموع لا تحصى منه . عقب ذلك، توجه المسلمون إلى بلاد الجزيرة والشام Asorestan . كان هذا فى عهد البطريرك الأرمنى إزر (٦٢٨ — ٦٤٠ م) Ezr . إبان هذه الحملة ، قام الإمبراطور البيزنطى بتعيين الأمير ثيودور الرشتونى قائداً عاماً على أرمينية ، وأنعم عليه أيضاً بلقب بطريق(٦٠) Patrice . كان ذلك عقب إعتلاء البطريرك نرسيس Nersès كرسى البطريركية وفى نفس عام خلافته للبطريرك إزر(٦١) .

(٦٠) فى أول الأمر ، كان الأمير ثيودور الرشتونى مناصراً للبيزنطيين . لذلك ، عينه الامبراطور البيزنطى قنسطنز سنة ٦٤٣ م /٢٣ هـ قائداً عاماً للقوات الأرمنية بلقب شرف هو « بطريق » وبطريق Patrice من ألقاب الشرف الرفيعة . لم يكن لحامله وظيفة معينة ، أنعم به أباطرة بيزنطة على زعماء البرابرة مثل أودواكر Odoacre وثيودوريك Théodoric . وفى القرن الخامس الميلادى ، حاول ثيودوس الثانى وزينون قصر استخدام هذا اللقب ، لكن جستنيان أرجعه إلى سابق عهده . للتفاصيل أنظر : Bréhier, Les Institutions de L'Empire Byzantin, Paris, 1849, P. 102-103; Bury, The Imperial Administrative System, London, 1811, P. 20-36, 121-124.

أنظر أيضاً : فايز نجيب اسكندر : أسرة برنيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية — الاسكندرية ١٩٨٧ — ص ٣ ، حاشية رقم ١ .

(٦١) Sébêos, XXX, P. 100-101.

بعد هذا السرد المطول عن الفتوحات الإسلامية لأرمينيه ، عاد سبيوس ثانيةً للحديث عن الإنتصارات التى أحرزها المسلمون على إمبراطورية فارس والإمبراطورية البيزنطية . ويؤكد فى ختام الفصل الثلاثين من مصدره أنه استمد روايته من شهود العيان الذين سقطوا أسرى فى قبضة المسلمين ثم أطلق سراحهم(٦٢) .

هذا عن الفصل الثلاثين من مصنف سبيوس حيث زودنا بالجديد عن معركة اليرموك وبتفاصيل فاقت أى مصدر معاصر عن حملة المسلمين على الطارون . وإذا انتقلنا إلى الفصل الحادى والثلاثين نلاحظ أن سبيوس جنح بالأحداث بعيداً ؛ إذ تحدث عن اليهود ودسائسهم للنيل من المسلمين ، وبالتالى يعد هذا الفصل عديم الأهمية لموضوعنا(٦٣) . إلا أن الفصل الثانى والثلاثين إحتل مكانة هامة ، إذ استهله بذكر أحوال الإمبراطورية البيزنطية عقب وفاة هرقل سنة ٦٤١ م وانتهاء المطاف بتربع قنسطنز الثانى (٦٤١ — ٦٦٨ م) Constants II على عرش بيزنطة(٦٤) . وروى أنه فى العام الأول من حكم قنسطنز إمبراطور الروم(٦٥) ، العام العاشر من حكم يزدجرد(٦٦) Yazkert ملك الفرس ، حشد العاهل الفارسى جيشاً قوامه ستون ألف مقاتل ، وسلحهم أحسن تسليح ، هادفاً من هذه التعبئة الحربية خوض غمار حرب ضارية ضد المسلمين . أما المسلمون فيذكر سبيوس أن تعداد جيشهم لم يتعد أربعين ألف جندى ، وأسرعوا

(٦٢) Sébêos, XXX, P. 101-102.

(٦٣) Sébêos, XXX, P. 102-103.

(٦٤) للتفاصيل عن أحوال الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة هرقل فى ١١ مارس سنة ٦٤١ م ، أنظر : Sébêos, XXXII, P. 103-106.

وقسطنطينوس أو قنسطنز الثانى حفيد هرقل ، عرف بحرصه البالغ ونشاطه الفائق وقدراته الهائلة لوقف الزحف الإسلامى الساحق على حساب الامبراطورية البيزنطية .

(٦٥) أى فى عام ٦٤١ — ٦٤٢ م /١٩ — ٢٠ هـ .

(٦٦) هو يزدجرد الثالث (٦٣٢ — ٦٥١ م) .

بحماس بالغ لمواجهة الجيش الفارسى وهم شاهرين سيوفهم . فاندلع القتال الضارى بين الطرفين المتصارعين فى مقاطعة مرساس(٦٧) Marsas ، واستمر الأقتتال الدامى ثلاثة أيام ، وكان من نتيجته فناء مشاة المتحاربين . لكن فجأة إنقلبت موازين القوى رأساً على عقب ، فقد سمع الفرس أن المعسكر الإسلامى حظى بتعزيزات هائلة من المقاتلين . حينئذ لاذ الجيش الفارسى بالفرار فى غسق الليل . وفى صبيحة اليوم التالى ، زحف المسلمون على معسكر الفرس ، فلم يجدوا به أجدا ، فقاموا باجتياح البلاد طولاً وعرضاً ، واستولوا على اثنتى وعشرين قلعة(٦٨) .

وبعد أن ذكر سبيوس أن البر والبحر لم يسلما من فتوحات المسلمين ، عاد ثانية إلى أخبار وأحوال وطنه أرمينية ، إذ أورد أن الامبراطور البيزنطى قنسطنز عين ثيودور الرشتونى قائداً عاماً للجيوش الأرمنية وذلك فى العام الثانى من توليه عرش الإمبراطورية البيزنطية(٦٩) . ويذكر أن ثيودور كان من أخلص أمراء الأرمن فى أرمينية البيزنطية .

عقب تولية قيادة الجيش الأرمنى ، طلب ثيودور بإلحاح من الإمبراطور البيزنطى أن يظهر رحمته وجميله تجاه الأشخاص الذين تم نفيهم إلى إفريقيا . وتوسل إليه فى أمر عودة فارازتيروتس البجراطى Varaztirots Bagratouni وابنه سمباط Smbat البجراطى . وكانا قد نفيا إلى افريقيا على يد هرقل(٧٠) . فأذعن الإمبراطور البيزنطى قنسطنز

(٦٧) عن مرساس Marsas انظر Hübschmann, Zur Geschichte Arméniens, P. 20, n. 1.

(٦٨) Sébēos, XXXII, P. 104.

(٦٩) أى فى عام ٦٤٢ ــ ٦٤٣ م . أنظر : Sébēos, XXXII, P. 106.

(٧٠) يرجع سبب نفيهما إلى إفريقيا إلى إشتراكهما فى مؤامرة كان هدفها إغتيال هرقل وتنصيب إبنه أثالاريكوس Athalarikos على عرش الامبراطورية البيزنطية . لمزيد من التفاصيل أنظر : Sébēos, XXXI, P. 93-94.

لمطلب قائده ، ولطف الله من قلبه — على حد قول سبيوس(٧١) — وأمر باستدعاء المنفيين إلى بلاطه فى القسطنطينية ، حيث إستقبلهما كأصدقاء للامبراطورية ، وعين سمباط « الأول بين أقرانه من رجال الإقطاع » Spathar ، وأعاده إلى المنصب السابق الذى كان يشغله قبل عزله ونفيه . كما كان هناك أحد أمراء الأرمن ويدعى فاهان خرخرونى Vahan Khorkhorouni خلع البلاط الإمبراطورى منه القابه الشرفية وعزله من منصبه . فبفضل وساطة ثيودور ، أعيد إلى منصبه ، ومنح ألقابه الشرفية . كان ذلك فى العام الخامس من حكم الإمبراطور قنسطنز أى عام ٦٤٥ أو ٦٤٦ م على حد قول سبيوس(٧٢) .

عقب ذلك ، أرسل الإمبراطور البيزنطى إلى أرمينية قائداً يدعى « ثوما » Thuma ، فقام بنسج خيوط مؤامرة أدت إلى القبض على القائد الأرمنى ثيودور الرشتونى وأودعه السجن ؛ ثم قيده بالأصفاد وأرسله إلى قنسطنز الثانى(٧٣) . إلا أن العاهل البيزنطى ارتاب من هذا التصرف الشائن ، خاصة وأنه لم يأمر بالقبض على الزعيم الأرمنى . لذا ، أمر بإطلاق سراحه ، وإستقبل ثيودور فى بلاطه أحسن استقبال ، وأكرمه أحسن تكريم يليق بمكانته ، وأنعم عليه بمنحة سنوية تصرف له من الخزانة الإمبراطورية . بعد ذلك ، قام باستدعاء القائد ثوما ، ومنعه من دخول القصر الإمبراطورى ، وأجرى معه تحقيقاً خارج القصر . وانتهى الأمر بتبرئة ساحة ثيودور أمير رشتونى(٧٤) .

(٧١) Sébêos, XXXII, P. 106.

(٧٢) Sébêos, XXXII, P. 106. Cf. Manandian, The Trade and Cities of Armenia in Relation to the Ancient World, Tr. N. Garsoïan, Lisbonne, 1865, P. 192.

(٧٣) Sébêos, XXXII, P. 106.

(٧٤) منذ القرن الرابع الميلادى ، كانت أسرة رشتونى من كبار الأسر الاقطاعية فى أرمينية . وكانت أملاكها تشمل المنطقة الواقعة جنوب غرب بحيرة فان . انظر : Pasdermadjian, Histoire de L'Arménie, Paris, 1849, P. 123. =



الفتوحات الاسلامية للشرق وأرمينية
السلاف
مملكة البلغار
البحر الأسود
البيزنطية
القسطنطينية
الامبراطورية
طرابزون
الخزر
تفليس
قاليقلا
دبيل
أرمينية
تبريز
طرسوس
انطاكية
بلاد فارس
طيسفون
دمشق
بيت المقدس
البحر المتوسط
ليبيا
مصر
الجزيرة العربية
٦١٦-٦١٧
٦٣٩-٦٤١
٦٤٢-٦٤٤
٦٣٢-٦٣٧
٦٤٢-٦٤٣
٦٣٩
الأراضي الخاضعة للسيادة الاسلامية سنة ٦٣٢م/ ١١هـ
الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (٦٣٢-٦٦١م/ ١١-٤١هـ)
الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي (٦٦١-٧٥٠م/ ٤١-١٣٢هـ)
أهم الحملات الإسلامية
صفر ٣٥٠ ٧٠٠ ١٠٥٠ ١٤٠٠ كم

حينئذ أصدر قنسطنز حكمه بعزل ثوما عن القيادة وتجريده من ألقابه(٧٥) .

بعد ذلك يذكر سبيوس فى مصدره أنه فى العام التالى لهذه الأحداث أى عام ٦٤٣ م ، رحل جيش المسلمين من آذربيجان ، حيث انقسم إلى ثلاثة أقسام . توجه القسم الأول منه إلى آرارات(٧٦) . وكان وجهه الثانى إقليم سفهيا كان جند(٧٧) Sephhakan Gund . وأخيراً ، توجه القسم الثالث إلى بلاد ألوانك(٧٨) (البانيا) Aluank . وكان القسم الثانى الذى زحف على سفهيا كان جند قد تمكن من فتحها عقب وصوله إليها مباشرة ، بعد أن زهقت أرواح الكثيرين وغنم المسلمون غنائم طائلة وسقط فى أيديهم حشود كثيرة من أسرى الأرمن . بعد ذلك ، توحدت صفوف الجيش الإسلامى للزحف على يرفان(٧٩) Erewan ، وقام المسلمون بمهاجمة قلعتها ،

= وللتفاصيل عند توزيع أملاك الأسر الإقطاعية الأرمنية آنذاك أنظر :
Aslan, Etudes Historiques sur le Peuple Arménien, Paris, 1928, P. 153-158; Bernadette Martin-Hisard, Domination Arabe, P. 193.

(٧٥) Sébêos, XXXII, P. 107-108.

(٧٦) عن آرارات أنظر حاشية رقم ٥٥ .

(٧٧) ذكر هبشمان Hübschmann أن إقليم سفهاكان جند Sephhakan-Gund يقع بالقرب من دزفك Dzophq وهاشتيانك Hachteanq أى بجوار مقاطعة الطارون . أنظر : Geschichte Armeniens, P. 24, n. 2.

(٧٨) أطلق مؤرخو الأرمن اسم « الونك » Aluank على ألبانيا . أما الكرج ، فقد أطلقوا عليها اسم رانى Rani ، فى حين أنها وردت فى المصادر الإسلامية على شكل اران . ومما يذكر أنه بعد أن فتحها المسلمون ، إتخذوا البيلقان عاصمة لهم . وضمت اران مدينة جندزاك Gandzak (جنزة فى المصادر الإسلامية) وشمكور جنوبى نهر الكر ، وبرذعة والعاصمة البيلقان . للتفاصيل عن الفتوحات الإسلامية لاران انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، حـ ١ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ . وقد نقل عنه إبن الأثير . أنظر : الكامل فى التاريخ ، حـ ٣ ، ص ٨٥ . أنظر أيضاً : Laurent, P. 46. وكذلك : فايز نجيب اسكندر ؛ الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج (جمهورية جورجيا حالياً) — القاهرة ١٩٨٨ — ص ١٠ ، حاشية رقم ١٠ .

(٧٩) يرفان Erewan هى عاصمة أرمينية حالياً .

لكنهم فشلوا فى الاستيلاء عليها . فانسحبوا وواصلوا زحفهم إلى أن وصلوا إلى أوردورو[٨٠] Ordorou ، لكنهم عجزوا عن إسقاطها هى أيضاً . فتركوها وذهبوا ليقيموا معسكرهم بالقرب من أردزاب[٨١] Ardzaph ، فى مواجهة القلعة ، على الشاطئ . وبدأ المسلمون بمهاجمة القلعة فمنيوا بخسائر فادحة . وكان خلف قلعة أردزاب منفذ يسمى كاكسانكتوش Kaxanktuch ، قام بعض من المحاصرين الأرمن بالنزول من القلعة وسلوك هذا المنفذ السرى ، بحثاً عن نجدات ربما يحظون بها من إقليم الطارون . وبالفعل أمدهم سمباط بجراط[٨٢] Smbat Bagratuni ، ابن فاراز ساهاك Varaz Sahak بأربعين من خيرة رجاله . رحلوا جميعاً فى غسق الليل لنجدة القلعة الأرمنية المحاصرة ، لكنهم إتسموا بالتهور وعدم الحيطة والحذر . فقد لاحظ المسلمون ذلك المنفذ السرى ، وبحرص بالغ تعقبوا خطاهم . وهكذا تمكنوا من صعود القلعة وفتحها فى غسق الليل بعد أن قتلوا عشرة من حراسها كانوا يغطون فى النوم[٨٣] .

هذا عما تضمنه الفصل الثانى والثلاثون من أحداث الإقتتال الإسلامى الأرمنى . أما الفصل الثالث والثلاثون[٨٤] ، فقد إستهله

(٨٠) وردت على شكل أوردسبو Ordspu فى ترجمة ماكلير لمصنف سبيوس وفى مقال عن الفتوحات العربية لماننديان .
(أنظر : Sébēos, XXXIII, P. 109. Cf. Manandian, Les Invasions Arabes, P. 183.) .
وصححتها أوردورو Ordorou . أنظر : Honigmann, Die Ostgrenze des Byz. Reiches von 363 Bis 1071, Bruxelles, 1835, P. 214.

(٨١) تقع قلعة أردزاب Ardzaph فى إقليم كوجوفيت Kogovit . أنظر ; Grousset, P. 299; Dulaurier, Chronologie, P. 231, n. 357.

(٨٢) كان سمباط بجراط يمتلك داريونك Dariwnk فى كوجوفيت Kogovit . أنظر : Laurent, P. 156, n. 26.

(٨٣) Sébēos, XXXII, P. 108-109.

(٨٤) ترجم هوبشمان Hübschmann هذا الفصل بكامله إلى اللغة الألمانية ، أنظر : Zur Geschichte, P. 25-28.

سبيوس بالقول أنه فى العام الثانى من حكم قنسطنز(٨٥) ، فى العام الثالث والعشرين من شهر هورى(٨٦) Hori ، يوم الأحد صباحاً(٨٧) ، أطلق المسلمون صيحاتهم المدوية [الله أكبر ... الله أكبر] حول قلعة أردزاب ، وقاموا بقتل المدافعين عنها . وحظيوا بأعداد لا حصر لها من الأسرى ، وغنائم هائلة من المواشى . إلا أنه فى صباح اليوم التالى ، تمكن ثيودور الرشتونى قائد الجيش الأرمنى من إلحاق الهزيمة بالمسلمين . فمن بين ثلاثة آلاف مقاتل مسلحين أحسن تسليح ومن أمهر المحاربين الشجعان ، لم يفلت أحد من القتل ، إلا قلة قليلة من المشاة نجحوا فى الفرار إلى بلاد الشام(٨٨) Samb على حد إدعاء سبيوس . وفى هذه المعركة ، تمكن الأرمن من إطلاق سراح العديد من أسراهم ، وكانت هزيمة ساحقة للجيش الإسلامى ، واستشهد فى هذه المعركة إثنان من قادة المسلمين هما عثمان(٨٩) Othoman

(٨٥) صحة ذلك فى العام التاسع من حكم قنسطنز . أنظر : Manandian, Les Invasions Arabes, P. 186-187.

(٨٦) حدد دولوريه هذا اليوم بالعاشر من أغسطس سنة ٦٤٣ م أنظر : Dulaurier, Chronologie Arménienne, P. 231 SQQ. وهذا يتعارض مع التحديد التاريخى الصحيح الذى زودنا به ماناندیان وقد أنزلق دولوريه إلى هذا الخطأ لتجاهله الخطأ الذى انزلق اليه سبيوس حين أرخ هذه الأحداث بالعام الثانى من حكم قنسطنز . وصحة ذلك العام التاسع من حكمه كما أشرنا فى الحاشية السابقة .

(٨٧) أى يوم الأحد ٨ أغسطس سنة ٦٥٠ م/١٦ محرم سنة ٣٠ هـ . أنظر : Manandian, Les Invasions Arabes, P. 187.

وقد انساق غالبية المؤرخين إلى الخطأ حين أخذوا عن دولريه الذى حدد سقوط قلعة اردزاب يوم الأحد ١٠ أغسطس سنة ٦٤٣ . أنظر : Dulaurier, Recherches, P. 231; Marquart, Osteuropäische und Oatasiatische Streifzüge, Leipzig, 1903, P. 440; Morgan, Histoire de Peuple Arménien, P. 116; Tournebize, Histoire Politique et Religieuse de L'Arménie, P. 354; Grousset, P. 299.

(٨٨) أطلق سبيوس على بلاد الشام اسم « سامب » Samb . أنظر : Sébēos, XXXIII, P. 110. .

(٨٩) ربما المقصود عثمان بن أبى العاص . علماً بأن سبيوس ذكر أن عثمان والوليد استشهدا أثناء معركة أردزاب . أنظر : Sébēos, XXXIII, P. 110. وهذا القول يتنافى مع الحقيقة .

وعقبه(٩٠) Ogomay وكان نصراً مظفراً لثيودور(٩١) ، قائد الجيش الأرمني، الذى بدوره أرسل إلى قنسطنز هدايا من غنائم المعركة شملت مائة من أعظم خيول السباق . ففرح الإمبراطور البيزنطى وبلاطه فرحاً بالغاً بهذا النصر ، وعبر للقائد الأرمنى عن عرفانه بالجميل .

أما عن فتوحات القسم الأول من جيش المسلمين المتوجه إلى آرارات ، فقد نجح فى التسلل إلى داخل هذا الاقليم ، وواصل زحفه إلى أن وصل إلى بلاد الطاييك Tayens وبلاد الكرج(٩٢) Géorgiens وبلاد ألوانك(٩٣) Aluank . بعد ذلك ، توجه المسلمون إلى نقجوان ، ولكنهم فشلوا فى الإستيلاء عليها . ومع ذلك ، فقد تمكنوا من فتح مدينة « كسرام » Xram ، بعد أن أتوا على حاميتها وأسروا من فيها من نساء وأطفال(٩٤) .

(٩٠) ربما المقصود الوليد بن عقبة والى الكوفة (أنظر الحاشية السابقة) « وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة ، فقدم الكوفة ولم يتخذ لداره بابا حتى خرج من الكوفة « أنظر : الطبرى : حـ ٥ ، ص ٤٨) . وتحت أحداث سنة ٢٤ هـ قال الطبرى « غزا الوليد بن عقبة فى إمارته على الكوفة فى سلطان عثمان آذربيجان وأرمينية » . (أنظر : الطبرى : حـ ٥ ص ٢٤ ؛ ابن الأثير : حـ ٣ ، ص ٨٣) . وروى الطبرى أن الوليد كان يوالى غزو ما يليه من هذه البلاد ممن لم يدخل فى صلح المسلمين من قبل ، وأنه رتب عشرة آلاف مقاتل للغزو السنوى وكان يجعل هذا الغزو مناوبة بين جنده البالغ أربعين ألفاً . أنظر : الطبرى : حـ ٥ ، ص ٤٥ .

(٩١) انظر حاشية رقم ٥ .

(٩٢) « بلاد الكرج » تكون حالياً على وجه التقريب جمهورية جورجيا .
وقد اختلفت تسميتها فى المصادر الإسلامية ، فتارة وردت على شكل « جرزان » ، وتارة ثانية على شكل « بلاد الكرج » ، وتارة ثالثة على شكل « خزران » ، وتارة رابعة « مملكة جورجين » . للتفاصيل أنظر : فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٧ ، حاشية رقم ١ .

(٩٣) جعل إبن حوقل النصيبى(ت ٣٦٨ هـ /٩٧٧ م) من أرمينية والران وآذربيجان اقليما واحد . أنظر : صورة الأرض — نشر دى غويه — ليدن ١٩٦٧ — ص ٢٨٥ . وذكر أن أهم مدن إقليم الران « برذعه » . فهى على حد قوله « أم الران » . أنظر صورة الأرض ، ص ٢٨٨ .

(٩٤) Sébēos, XXXII-XXXIII, P. 108-110.
وقد تشابهت رواية كل من جيفوند وأسوليك مع رواية سبيوس . فجيفوند نقل عن سبيوس ، أما أسوليك فقد نقل عن جيفوند . أنظر : Ghévond, III, P. 9-10. وقارنه مع Asolik, I, P. 153. أنظر أيضاً : Manandian, P. 183-184. .

بعد ذلك تحدث سبيوس عن المواجهة البحرية بين المسلمين والبيزنطيين ، فذكر أن معاوية بن أبى سفيان قام بإعداد أسطول بحرى ضخم ، هادفاً من ذلك فرض حصار بحرى على القسطنطينية ــ عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ــ لإسقاطها . لكن النار الإغريقية أفشلت مخططاته ، وأجبرت سفن المسلمين على الفرار من ساحة الوغى . ومع ذلك فقد أدرك الإمبراطور البيزنطى ضرورة إبرام إتفاقية سلام مع المسلمين نظير جزية يتفق عليها . واستشار فى هذا الصدد قادة الجيش البيزنطى . وتم تكليف القائد البيزنطى بروكوب Prokop بالذهاب إلى دمشق للقاء معاوية والى الشام آنذاك . فاتفق القائدان على تحديد ألجزية المفروضة على بلاد الروم ، وكذا تحديد الحدود بين الطرفين المتقاتلين . وعاد القائد البيزنطى بروكوب ليبلغ الامبراطور قنسطنز بمضمون إتفاقه(٩٥) . كان ذلك سنة ٦٥٢ م(٩٦) .

هذا عن أهم أحداث الفصل الثالث والثلاثون المتعلقة بالفتوحات ألإسلامية لأرمينية خاصة . إلا أننا نلاحظ أن الجزء الأكبر من هذا الفصل(٩٧) وكذا الفصل الرابع والثلاثين(٩٨) تحدث فيهماسبيوس بإسهاب عن الشقاق المذهبى الضارى بين الامبراطورية البيزنطية والأرمن ، خاصة فيما يتعلق بمحاولة الامبراطور البيزنطى فرض مقررات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م عليهم بالقوة ، وتمسك الأرمن بالمذهب المونوفيزيتى(٩٩) . وكان من نتائج هذا التعصب المذهبى

(٩٥) Sébēos, XXXIII, P. 110-111.
وقد ذكر سبيوس فى الفصل الخامس والثلاثين فى مصنفه أن مدة الاتفاقية ثلاث سنوات . إلا أن المسلمين قاموا بخرقها قبل انتهاء الثلاث سنوات . فعقب فتح فارس شنوا غارات برية وبحرية لفتح بلاد الروم . أنظر : Sébēos, XXXV, P. 132.

(٩٦) Muralt, Chronographie Byzantine, I, P. 298.

(٩٧) Sébēos, XXXIII, P. 111-129.

(٩٨) Sébēos, XXXIV, P. 129-131.

(٩٩) ذكر المسعودى أن « الأرمن يعاقبه » . (أنظر : مروج الذهب ــ دار الأندلس ــ بيروت =

الأعمى ، إرتماء الأرمن فى أحضان المسلمين ألمتسامحين مطبقين فى ذلك ألمبدأ القائل « عدو عدوى صديقى » . فعلى الرغم من أن المسيحية جمعت بين البيزنطيين والأرمن ، إلا أن الخلاف المذهبى فرقهما ، وعمق الشك والكراهية بينهما . أضف إلى ذلك أن الأرمن وجدوا فى تمسكهم بمذهبهم المونوفيزيتى الدليل الواضح على إستقلالهم الدينى والسياسى عن الامبراطورية البيزنطية كما كان حال أقباط مصر ومسيحيى الشام وفلسطين[١٠٠] .

على أية حال ، عاد سبيوس ثانية فى الفصل الخامس والثلاثين[١٠١] من مصدره للحديث عن المسلمين وصراعهم مع البيزنطيين من أجل إخضاع أرمينية لسيادتهم . فاستهل حديثه بذكر إسدال الستار على إمبراطورية فارس بعد حكم دام خمسمائة واثنين وأربعين عاماً على حد قوله[١٠٢] . وهكذا ، لم يخالفه الصواب فى حساباته ؛ إذ أن الحرب ما بين الملك الفارثى أرطبان الخامس (٢٠٨ — ٢٢٦ م) وبين الرومان كانت آخر حرب بين الدولتين ، وكانت كذلك نهاية المملكة الفرثية

= ١٩٦٥ — حـ ١ ، ص ٣٥٩) . وأنه طاف أرجاء أرمينية (أنظر : مروج الذهب ، ص ز ، و ص ١٨) .

وعن المجمع المسكونى الرابع فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م ، أنظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين ، ص ٨٦ — ٨٧ ، حاشية رقم ٩٥ .

(١٠٠) Sébêos, XXXV, P. 131-139.

(١٠١) ترجم هوبشمان Hübschmann هذا الفصل إلى الألمانية فى مصنفه . أنظر : Zur Geschischte Arméniens, P. 29 SQQ. .

(١٠٢) Sébêos, XXV, P. 132.

والملاحظ أن المصادر الأرمنية تباينت تبايناً واضحاً فى هذا الصدد . ففردان إنزلق إلى نفس خطأ جيفوند ، نتيجة نقله عنه (أنظر : Ghévond, P. 4; Vardan, II, P. 87.) . أما سبيوس وتوماس أردزرونى فقد ذكرا أن امبراطورية فارس سقطت بعد حكم دام ٥٤٢ سنة (أنظر : Sébêos, XXX, P. 94; Thomas Ardzrouni, P. 19. Cf. Brosset, Notice sur Thomas Ardzrouni, P. 702.) .

أما أسوليك فقد حدد لها ٣٨٦ سنة . (أنظر : Asolik, P. 119.) . وصحة ذلك أنه أسدل الستار على امبراطورية فارس بعد حكم دام أربعمائة وستة وعشرين عاماً أنظر : Lebeau, Histoire du Bas-Empire, t. XI, P. 317.

(٢٤٧ ق . م ــ ٢٢٦ م) وحكمها فى فارس(١٠٣) . وخلفتهم فى حكم فارس والعراق سلالة فارسية جديدة عرفت باسم الساسانيين(١٠٤) (٢٢٦ ــ ٦٥١ م) ، استمرت فى الحكم حتى سنة ٦٥١ م /٣١ هـ ، وهى السنة التى تمكن فيها المسلمون من فتح همذان والرى وآذربيجان وأرمينية ، وهرب يزدجرد الثالث إلى جهات الشرق مختفياً فيها ؛ ولكنه أغتيل على يد أحد أتباعه بالقرب من مرو سنة ٦٥١ م /٣١ هـ(١٠٥) فى عهد خلافة عثمان بن عفان . وعند هذا التاريخ تنتهى قصة الامبراطورية الفارسية التى دام حكمها أربعمائة وستة وعشرين عاماً ، وليس خمسمائة واثنين وأربعين عاماً كما يدعى سبيوس ، ولا أربعمائة وواحد وثمانين عاماً كما يدعى جيفوند(١٠٦) Ghévond وفردان(١٠٧) Vardan ألذى نقل عنه .

ثم ذكر سبيوس بعد ذلك أنه عقب فتح فارس ، لم ينتظر « ملك الإسماعيلية(١٠٨) » ــ أى خليفة المسلمين عثمان بن عفان ــ فترة انقضاء ثلاث سنوات على تاريخ إبرام إتفاقية السلام الإسلامية البيزنطية ؛ إذ تشجع ــ على حد قوله ــ بما أحرزه من انتصارات باهرة على بلاد فارس ، وعقد العزم على فتح بلاد الروم . ففى العام الثانى عشر من حكم الامبراطور البيزنطى قنسطنز ــ أى فى عام

(١٠٣) لمزيد من التفاصيل عن النزاع بين الفرثيين والرومان أنظر طه باقر : تاريخ إيران القديم ــ مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٠ ــ ص ٩٣ ــ ١٠٢ ؛ أندريه إيمار : تاريخ الحضارات العام ــ المجلد الثانى ــ روما وإمبراطوريتها ــ ترجمة يوسف أسعد داغر ــ بيروت ١٩٨١ ، ص ٥٣٠ ــ ٥٣١ .

(١٠٤) عن قيام الدولة الساسانية ، أنظر : طه باقر : المرجع السابق ص ١١١ ــ ١٢١ .

(١٠٥) طه باقر : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(١٠٦) Ghévond, II, P. 4.

(١٠٧) Vardan, II, P. 87.

(١٠٨) عن التسميات العديدة التى أطلقها مؤرخو الأرمن على المسلمين أنظر : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٧٢ ، حاشية رقم ٥ .

٦٥٣ م(١٠٩) /٣٣ هـ ــ أصدر الخليفة عثمان أوامره إلى جيوشه ببدء حرب برية وبحرية لمسح الامبراطورية البيزنطية من الوجود ، وضم أراضيها إلى دار الإسلام(١١٠) .

وفى نفس هذا العام ــ أى عام ٦٥٣ م(١١١) /٣٣ هـ ــ تخلص الأرمن من السيادة البيزنطية على بلادهم ، وخضعوا بمحض إرادتهم للسيادة الإسلامية التى تركت لهم حريتهم الدينية كاملة ، إذ فى الإسلام « لا إكراه فى الدين » . والملاحظ أن سبيوس انفرد دون غيره من المصادر الأرمنية والإسلامية والبيزنطية بتزويدنا بالنص الكامل لاتفاقية السلام المبرمة بين الأرمن والمسلمين مما اكسب مصنفه أهمية بالغة .

يقول سبيوس فى مستهل الاتفاقية ، تفاوض القائد العربى ــ أى معاوية بن أبى سفيان وإلى الشام آنذاك ــ مع الأرمن وقال :

> « أتفقت أنا وأنتم ، لمدة زمنية تحددونها أنتم ، أننى سوف لا أجبى أية جزية منكم لمدة ثلاث سنوات(١١٢) . ولكن، طبقاً لهذا التعهد ستدفعون بعدها الجزية التى ترغبون فى دفعها(١١٣) ، ويحق لكم

(١٠٩) Muralt, Chronographie, I, P. 298.

(١١٠) Sébēos, XXXV, P. 132.

(١١١) أخطأ مورالت Muralt وأدرج هذا الحدث تحت عام ٦٥١ م وصحته ٦٥٣ م كما أوضحنا . أنظر : Murralt, I, P. 299.

(١١٢) يرى كل من ماكلير وجروسيه الذى نقل عن ترجمة ماكلير لسبيوس أن فترة السماح كانت سبع سنوات . والسبب فى هذا الخلاف يرجع إلى خطأ فى قراءة مخطوط سبيوس الأصلى . أنظر : Sébēos, XXXV, P. 133. Cf. Grousset, L'Arménie, P. 300.

وصحة ذلك كما أثبتنا ثلاث سنوات فقط . أنظر : Laurent, P. 55; Ghazarian, Armenien Unter der Arabischen Herschaft, P. 30, n. 5.

(١١٣) يذكر تبودشيان أن المسلمين لم يلتزموا بتنفيذ هذا الشرط . أنظر : Thopdschian, Die Inneren Zustände von Arménien Unter Aschot I, P. 132.

أن يكون لكم فى بلادكم جيش مؤلف من خمسة عشر ألف فارس ، تزودونه بالخبز [ربما المقصود تزودونه بالطعام] وسأضع هذا فى اعتبارى عند حساب الجزية . وسوف لا أطالب من فرسانكم المجئ إلى بلاد الشام . لكن على هؤلاء الفرسان أن يكونوا على أهبة الاستعداد للذهاب إلى أى مكان يؤمرون بالتوجه إليه ليحاربوا جنباً إلى جنب معنا ضد أى إعتداء يقع علينا . وسوف لا أرسل أى أمير إلى قلاعكم ، ولا أى قائد عربى ولا فارس واحد(١١٤) . كذلك سنقف بالمرصاد أمام مجئ أى عدو إلى أرمينية ، فإذا زحف البيزنطيون لقتالكم ، سأرسل جيوشاً لنجدتكم ، وستحددون أنتم أعداد هذه الجيوش . أتعهد بذلك أمام الله عز وجل »(١١٥) .

والجدير بالملاحظة أن سيبوس قبل أن يزودنا بنص المعاهدة علق عليها قائلاً « تحالف الأرمن مع الموت [أى مع المسلمين] تخلصاً من تحالفهم مع الجحيم [أى مع البيزنطيين] ، وبذلك رفض ثيودور وكل الأرمن التحالف مع الله »(١١٦) وبعد ذكره لنص المعاهدة علق عليها

(١١٤) أضاف غازاريان أيضاً أن المسلمين تعهدوا بعدم إرسال قضاة مسلمين إلى أرمينية . علماً بأن سبيوس لم يذكر ذلك فى نص المعاهدة ، وهو المصدر الوحيد الذى أورد نصها بالكامل . (أنظر : Ghazarian, P. 30-31.) .

والجدير بالذكر أن المؤرخ البيزنطى ثيوفان Théophane أشار إشارة عابرة إلى إتفاقية سنة ٦٥٣ بين الأرمن والمسلمين ، وقال إن الامبراطور البيزنطى فقد الأمل فى أرمينية ، وذهب إلى قيصرية ولم يغادرها . أنظر : Théophane, S.A. 6143, P. 340. .

(١١٥) عن اتفاقية السلام بين الأرمن والمسلمين أنظر : Sébêos, P. 133. Cf. Ghazarian, P. 30-31; Laurent, P. 55-56; Grousset, Histoire De L'Arménie, P. 300-301; L'Empire du Levant, P. 96; Pasdermadjian, P. 127; Der Nersessian, The Arménians, P. 32.

(١١٦) Sébêos, XXXV, P. 132-133.

قائلاً : « هكذا أصبح عدو المسيح [يقصد معاوية بن أبى سفيان] أعظم حلفاء الأرمن ، ونجح فى فصلهم عن السيادة البيزنطية »(١١٧) .

أما المؤرخ الأرمنى البطريرك جون كاثوليكوس Jean VI Catholicos (مؤرخ النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى وأوائل القرن العاشر) ، فلم يكن تعليقه أقل تعصباً من تعليق سبيوس . إذ قال تعقيباً على الاتفاق الإسلامى الأرمنى « تحالف الأرمن مع الموت ، وأقسموا على الإخلاص للجحيم وابتعدوا عن الامبراطور البيزنطى »(١١٨) . وبذلك نستشف من تعليقهما تعصبهما الدينى ، وحقدهما على المسلمين والإسلام . إلا أن المؤرخ الفرنسى الحديث رينيه جروسيه René Grousset زودنا فى مصنفه عن « تاريخ أرمينية » Histoire de L'Arménie بتعليق منصف نزيه قائلاً : « كان الخليفة المسلم أكثر عدلاً ووفاء مما منحه ملوك الساسان من قبل لأرمينية ، ذلك لأن الإسلام أقرب إلى المسيحية منه إلى المجوسية »(١١٩) .

والحقيقة كانت البنود فى الشروط التى يتفق عليها الفاتحون المسلمون مع سكان البلاد المفتوحة ، بعيدة عن الاجحاف ؛ وكانت أرحم بكثير من البنود المفروضة من قبل بيزنطة وفارس . وهذا ما دفع العديد من المدن لفتح أبوابها للمسلمين . إذ كانوا يفتحونها دون مقاومة .

على أية حال ، كانت شروط المسلمين مشجعة لإقناع الأرمن بقبول السيادة الإسلامية ونبذ السيادة البيزنطية . فالإتفاقية تركت للأرمن تحديد مدتها الزمنية ، ومنحتهم فترة سماح مدتها ثلاث سنوات

(١١٧) Sébēos, XXXV, P. 133.

(١١٨) Jean Catholicos, XII, P. 74.

(١١٩) Sébēos, XXXV, P. 132-133; Jean Catholicos, XII, P. 74. Cf. Grousset, Arménie, P. 301.

لا يدفعون فيها الجزية ؛ ثم بعد مضى الثلاث سنوات ، سيحدد الأرمن بأنفسهم الجزية التى يرغبون فى دفعها . واعترفت بحق الأرمن فى تأليف جيش قومى مؤلف من خمسة عشر ألف فارس يتكفلون بمصاريف إطعامه نظير تخفيض الجزية . واشترط معاوية على هذا الجيش أن يكون مستعداً لخوض غمار الحرب جنباً إلى جنب مع المسلمين فور طلب ذلك . وأهم بنود هذا الاتفاق ، هو اعتراف معاوية بحق الحكم الذاتى للأرمن ؛ فقد تعهد بوضوح أنه سوف لا يرسل إلى أرمينية أى حاكم أو قائد عربى ، وأن المسلمين سوف لا يتدخلون فى شئون الأرمن . كذلك نصت الاتفاقية على تعهد العرب بالدفاع عن أرمينية فى حالة تعرضها لأى عدوان وخاصة من قبل البيزنطيين ؛ ففى هذه الحالة ، سيزودهم معاوية بالجيوش التى يطلبونها لرد العدوان عنهم . وهكذا كانت الإتفاقية شبيهة إلى حد كبير باتفاقيات الدفاع المشترك المبرمة بين خليفين فى أيامنا هذه .

ولكن ، بعد نقد شروط معاهدة الصلح المبرمة بين الأرمن والمسلمين ، لا ينبغى أن يغرب عن بالنا الدوافع الأخرى التى جعلت الأرمن يرتمون فى أحضان المسلمين ويلفظوا السيادة البيزنطية . فهناك أسباب عديدة متشابكة متداخلة . أهمها عجز بيزنطة عن حماية أرمينية من هجمات المسلمين المتتالية ، إذ انهم تركوا الأرمن يواجهون المارد العربى وجهاً لوجه دون أن يقدموا إليهم مساعدات جدية . بل وعندما وجدت بيزنطة أن أخطار المسلمين قد تفاقمت ، وأن أرمينية أوشكت على السقوط فى أيديهم ، حشدت جيشاً هائل العدد ، وأوكلت قيادته إلى قائدها بروكوب الذى اشتهر بالإستهتار والغطرسة ، فمنى جيشه بشر الوان الهزائم . وبدلاً من عزل قائده المهزوم ، قام الإمبراطور البيزنطى بعزل ثيودور الرشتونى(١٢٠) ، الزعيم الحقيقى للشعب الأرمنى

(١٢٠) من أسباب عزل ثيودور الرشتونى ، نقمة الامبراطور البيزنطى عليه . ففى مجمع دوين المسكونى السادس سنة ٦٤٨ م /٢٨ هـ أصر ثيودور أن للمسيح طبيعة واحدة ، ورفض مذهب الطبيعة =

آنذاك على حد قول المؤرخ الفرنسي جروسيه(١٢١) ، فكسب الامبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى حقد الشعب الأرمنى وقائده . ووصلت الأمور إلى أقصاها ـــ كما سبق أن ذكرنا ـــ عندما أصبح الزعيم الأرمنى محل شكوك ، وسبق ذات يوم فى الأصفاد إلى القسطنطينية عند قنسطنز الثانى ، لكن الامبراطور البيزنطى أعاد له حريته ، بل جعله محل ثقته . ولكن هذا الإقطاعى الأنوف لم يكن لينس هذه الواقعة . كذلك كان الحال لفارازتيروتس البجراطى الذى أعاده الامبراطور من منفاه فى إفريقيا ، لكنه تحفظ عليه فى البسفور فانتاب الضيق فارازتيروتس ، ففر متنكراً ، وركب سفينة وأبحر بها إلى الطاييك عن طريق طرابيزون . وأعلن ثيودور والبطريرك الأرمنى نرسيس الثالث وقوفهما إلى جانبه ، وعرضوا عليه حكم أرمينية بدلاً من قتاله . ولم يجرؤ الامبراطور البيزنطى على معارضة هذا العصيان العسكرى ، ورضخ للأمر الواقع بأن عين فارازتيروتس قربلاطا Curopalate على أرمينية ، كان ذلك حوالى سنة ٦٤٥ م/٢٥ هـ . لكن فارازتيروتس توفى بعد ذلك بقليل ، وخلفه ابنه سمباط البجراطى Smbat Bagratuni . والغريب أنه فى الوقت ذاته ، منح البلاط الامبراطورى ثيودور شرف القيادة العامة للجيوش الأرمنية(١٢٢) . وكان هدف بيزنطة من ذلك هو تأليب آل رشتونى على آل بجراط ، إصفافاً للإثنين معاً ، وحفاظاً على سيادتها على أرمينية ، دون أن تضع فى حساباتها السياسية ضرورة تقوية أرمينية لتقف سداً حاجزاً أمام الزحف الإسلامى ليس فقط على أرمينية بل أيضاً على بيزنطة ذاتها .

= الثنائية للمسيح . إضافة إلى ذلك اعتقد العاهل البيزنطى أن ثيودور لم يتعاون مع القائد البيزنطى بروكوب فى مواجهة المسلمين ، بل وصلت الأمور إلى اتهامه بمناصرة المسلمين ضد البيزنطيين .

(١٢١) Grousset, P. 300.

(١٢٢) Sébêos, XXXIII, P. 106-108; Ghévond, IV, P. 11; Jean Catholicos, XII, P. 75-76; Vardan, P. 86. Cf. Ghazarian, P. 29-30; Tournebize, P. 354-355.

وبذلك تناسى العاهل البيزنطى موقع أرمينية الاستراتيجي وأهميتها كدولة حاجزة ، فدفعت الامبراطورية البيزنطية الثمن غالياً .

كل هذه الأحداث كانت كفيلة بأن ينتقم الزعيم الأرمنى ثيودور الرشتونى من الامبراطور البيزنطى . وهذا ما حدث بالفعل عندما أجبره قنسطنز على انخراط جيشه فى صفوف قائده المتغطرس بروكوب فى حربه الثانية ضد المسلمين . إذ أوصى الزعيم الأرمنى ابنه فارد Vard بترقب الفرصة المواتية للإنتقام من البيزنطيين . فنفذ فارد وصية والده خير تنفيذ ، وأغرق الجيش البيزنطى فى بحر الهزيمة . بعد هذا الانتقام ، لم يبق أمام الزعيم الأرمنى ثيدور إلا الارتماء فى أحضان المسلمين ، إنتقاماً من البيزنطيين ، وخوفاً من انتقامهم منه . من هذا المنطلق ، تفاوض مع معاوية بن أبى سفيان والى الشام آنذاك كما سبق أن أوضحنا . وقد استجاب الشعب الأرمنى لرغبات زعيمه ، بسبب عجز بيزنطة عن حمايته من إغارات المسلمين المتكررة على بلاده ، ومعاناته من الاضطهاد المذهبى من قبل الروم ، ومحاولات بيزنطة المتكررة فى فرض مذهب الطبيعتين على الأرمن ، فى حين أنهم يتمسكون بمذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام ، شأنهم فى ذلك شأن مسيحيى مصر والشام وفلسطين كما سبق القول . وكان الأرمن على علم بأن المسلمين أكثر تسامحاً من البيزنطيين ؛ إذ أنهم كانوا يتركون لسكان البلاد المفتوحة حرية مباشرة شعائرهم الدينية ، لأن القرآن الكريم اعتبر اليهود والنصارى أهل كتاب . فقد اتخذ المسلمون سياسة التسامح الدينى مع أهل الكتاب[١٢٣] ، وقاموا بحمايتهم وحماية معابدهم الدينية من كنائس وأديرة طالما خضعوا للسيادة الإسلامية وأدوا الجزية المفروضة عليهم . كل هذه الأسباب مجتمعة ، جعلت الأرمن وزعيمهم ثيودور يرحبون بإبرام معاهدة

(١٢٣) أنظر القرآن الكريم : سورة البقرة ، الآية رقم ٦١ .

السلام مع والى بلاد الشام معاوية بن أبى سفيان ، ذلك الداهية فى فنون الحرب والقتال ، الذى نجح بذلك فى فتح طريق إلى قلب الامبراطورية البيزنطية عبر أرمينية . إضافة إلى ما تقدم ، فإن نجاح معاوية فى عقد هذا الصلح يمثل جانباً من الحكمة السياسية التى أمتاز بها وعبر عنها بقوله « لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها » .

هذا عن اتفاقية السلام الأرمنية الإسلامية وتحليلها ، والدوافع التى أدت إلى إبرامها . ولكن كان للإتفاقية وقع الصاعقة على الامبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى ، فقد كان فى موقف لا يحسد عليه ، وحاول إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء . ولهذا — كما يقول سبيوس — كتب إلى الأرمن متوسلاً أن يصغوا إليه ، وأخبرهم فى كتابه أنه سيصل بنفسه إلى مدينة كارين[١٢٤] Karin ، وأنه سيدعمهم بمبالغ طائلة من الأموال مقابل تخليهم عن معاهدة المسلمين ، وسيتفق معهم على خطوات المستقبل . لكن الأرمن لم يصغوا لندائه[١٢٥] .

(١٢٤) كارين Karin فى المصادر الأرمنية ، وثيودوسيوبوليس Théodosiopolis فى المصادر البيزنطية ، وقاليقلا فى المصادر الإسلامية . يقول عنها البغدادى : « قاليقلا بأرمينية العظمى ، من نواحى خلاط ، ثم من نواحى منازجرد من نواحى أرمينية الرابعة » . (أنظر : مراصد الإطلاع ، جـ ٣ ، ص ١٠٥٩) . وكانت منذ القديم تسمى كارين ، وقام الامبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٨ م) بإعادة تشييدها وتعميرها وتحصينها . كما قام بتغيير اسمها إلى ثيودوسيوبوليس نسبة إلى اسمه . وكانت منذ ذلك الحين المركز العسكرى والادارى لأرمينية البيزنطية ، والحصن البيزنطى المنيع للأقاليم القوقازية . وكانت كارين من أهم المراكز التجارية فى أرمينية ، إذ كانت تحمل إليها متاجر بلاد فارس والهند وسائر ما يرد من آسيا والامبراطورية البيزنطية برسم طرابيزون عن ذلك أنظر : Aristakès, P. 11 et n. 3. Cf. Schlumberger, L'Epopée Byzantine, II, P. 479-480.

وقد زودنا إبن الأثير بتفسير طريف عن سبب تسميتها قاليقلا إذ قال : « وإنما سميت قاليقلا لأن امرأة بطريق أرمينياقس كان إسمها قالى بَنَتْ هذه المدينة فسمتها قالى قلة ، تعنى إحسان قالى ، فعربها العرب فقالت قليقلا » . أنظر : الكامل فى التاريخ ، حـ ٣ ، ص ٨٤ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، حـ ١ ، ص ٢٣٤ . أنظر أيضاً : فايز نجيب اسكندر : البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد فى مصنف نقفور برينيوس — الاسكندرية ١٩٨٤ — ص ٥١ — ٥٤ ، حاشية رقم ٥٤ .

(١٢٥) Sébêos, XXXV, P. 133; Jean Catholicos XII, P. 74. Cf. Bréhier, Vie et Mort de Byzance, P. 61.

بعد ذلك يعكس لنا سبيوس موقف الجيش البيزنطى المهزوم من هذه الأحداث ، فيقول أن الكتائب البيزنطية نسبت هزيمتها الساحقة أمام المسلمين إلى ثيودور الرشتونى والأرمن . فأخبروا الامبراطور البيزنطى أن الأرمن تحالفوا مع المسلمين أثناء القتال ، بل كانوا عيوناً لهم « اذن فلنزحف على أرمينية انتقاماً من خيانة الأرمن »(١٢٦) .

ويشير سبيوس بعد ذلك إلى رضوخ الامبراطور البيزنطى لرغبة جيشه . ففى عام ٦٥٤ م /٣٤ هـ ، قام على رأس جيش كبير(١٢٧) وزحف على أرمينية . وعندما وصل إلى درجان(١٢٨) Derjan ، تقدم المسلمون إليه بإنذار من معاوية بن أبى سفيان يتهدده بقوله : « إن أرمينية لى ، فارجع عنها منسحباً . أما إذا تسللت إليها ، فسأذهب لقتالك ، ولن تستطيع الإفلات من قبضتى »(١٢٩) . أى أن أرمينية أصبحت بمثابة محمية إسلامية ، ومحظور على الامبراطور البيزنطى الاعتداء على أراضيها .

وكان رد قنسطنز على رسالة معاوية : « ان البلاد ملك لى ، وأنا ذاهب إليها . فإذا زحفت لقتالى ، فالله سيحكم بالعدل بيننا »(١٣٠) . بعد ذلك ، توجه الامبراطور البيزنطى إلى كارين(١٣١) حيث أقام بها بضعة أيام . وهناك لقى حفاوة وتكريماً من الأشراف والجنود الأرمن

(١٢٦) Sébêos, XXXV, P. 133.

(١٢٧) كان الجيش البيزنطى يتكون من مائة ألف مقاتل على حد قول سبيوس . وقد نقل عنه جروسيه دون تعليق رغم المبالغة الواضحة . أنظر : Sébêos, XXXV, P. 134; Jean Catholicos, XII, P. 74 et 408. Cf. Grousset, P. 301; Laurent, P. 242.

(١٢٨) تقع درجان Derjan فى أرمينية العليا ، وتطل على نهر الفرات شمال مانانالى Mananali وتسميها المصادر البيزنطية درزين Derzène وأحياناً أخرى ترتزان Tertzan . أنظر : Laurent, P. 41.

(١٢٩) Sébêos, XXXV, P. 134.

(١٣٠) Sébêos, XXXV, P. 134-135.

(١٣١) عن كارين ، انظر حاشية رقم ١٢٤ .

الذين انفصلوا على وجه السرعة عن التضامن والتأييد لسياسة ثيودور الرشتونى المناصرة للسياسة الإسلامية . إذ مثل أمامه أشراف سبير Sper ، وزعماء أسر بجراط ومانالى Manali ودرانالى Daranali ، وأشراف مقاطعة ايكيلياك Ekeleak وكل فرسان هذه المناطق . ثم حضر أيضاً أشراف كارين Karin ، وطايك Taykh وباسيان Basean . وإشخان فاناند Vanand وفرسانه ، وإشخان شيراك Sirak وآل كزركزوبونيس Xorxopunis . وآل موشيل ماميكونيان ، وفرق من مقاطعة أرارات وغيرهم . كما حضر البطريرك نرسيس الثالث خصيصاً من بلاد الطايك للمثول أمام الامبراطور البيزنطى فى كارين وهو أكثر استعداداً بلا شك على أن يكون دائماً وأبداً مناصراً للسيادة البيزنطية . وأوضح نرسيس للعاهل البيزنطى أن الشعب الأرمنى ليس مسئولاً عن إرتداد وجحود ثيودور الرشتونى . وأتفق الجميع على إدانته وعزله من منصبه واعتبروه ملعوناً(١٣٢) . وتم تكليف أربعين من الجنود للذهاب إليه وتنفيذ ما اتفق عليه الجميع . لكن ثيودور لم يكن من نوع الرجال الذين يستسلمون للخوف، فبالرغم من أن مساعدة حماته من المسلمين قد خذلته ، إلا أنه ألقى القبض على رسل الامبراطور البيزنطى فور وصولهم إليه . فسجن البعض منهم فى بدليس(١٣٣) Balès (Bitlis) ، والبعض الآخر فى جزيرة بزنونيك(١٣٤) Bznounik . أما هو ، فقد تحصن وقبع فى جزيرة أجثامار(١٣٥) Althamar . وفى نفس الوقت ، أصدر أمره إلى حلفائه من سيونيين

(١٣٢) Sébēos, XXXV, P. 134. Cf. Grousset, P. 301.

(١٣٣) تقع بدليس شمال بحيرة وان . انظر : Laurent, P. 389.
وللتفاصيل أنظر : ابن حوقل : صورة الأرض — بيروت ١٩٧٩ — ص ٢٧٨ .

(١٣٤) عن بزنونيك أنظر حاشية رقم ١٧١ .

(١٣٥) أجثامار Althamar جزيرة فى بحيرة وان ، كانت مقراً للكاثوليكوس الأرمنى (أى البطريرك الأرمنى) . أنظر : Sébēos, P. 151.

Siouniens وألبان Aghouans وكرج (أى من الجيورجيين) Géorgiens بحشد كل طاقاتهم القتالية للدفاع عن بلادهم . أما صهره جريجور فاهيفونى Grigor Vahévouni ، فقد تحصن فى أرفاى Arphai حيث استولى على أموال الكنيسة وأموال الأمراء والتجار(١٣٦) .

وقد أشتاط الامبراطور البيزنطى غضباً من تصرفات ثيودور المعادية للبيزنطيين ، وصمم على تدمير أرمينية عن بكرة أبيها . حينئذ تدخل البطريرك الأرمنى نرسيس وموشيل ماميكونيان Mouchel Mamikonian وأشراف البلاد ، ونجحوا فى تهدئته . ثم سار قنسطنز على رأس جيش بلغ العشرين ألفا ووصل إلى دوين ، حيث أقام فى مقر البطريرك الأرمنى ، وأصدر أوامره بتعيين موشيل ماميكونيان قائداً عاماً للجيش الأرمنى ، وأرسله على رأس ثلاثة آلاف مقاتل لقتال ثيودور الرشتونى . وأرسل أيضاً قواتاً أخرى لاخضاع بلاد الكرج والألبان وإقليم سيونيك بسبب مناصرتهم لثيودور . إلا أن النتائج التى حققتها هذه الحملات البيزنطية كانت غير حاسمة(١٣٧) .

وقد انتهز قنسطنز فرصة وجوده فى أرمينية ليعيد إثارة مشاعر الأرمن الدينية . إذ لم يقنع الامبراطور العنيد بخيبة أمله نتيجة فشل المجمع المسكونى السادس فى دوين سنه ٦٤٨ م /٢٨ هـ ، فصمم هذه المرة على وضع حد لعناد الأرمن المذهبى . تحقيقاً لهذا الهدف ، أوفد قساوسة من الروم ليبشروا بلاهوت خلقيدونية ومذهب الطبيعة الثنائية للسيد المسيح عليه السلام فى كل كنائس دوين ، بل وأقام الصلاة فى كاتدرائية القديس جريجوار المنور وفقاً للتقاليد المذهبية البيزنطية . وقد شارك البطريرك الأرمنى نرسيس وكافة الأساقفة الأرمن فى هذه

(١٣٦) Sébēos, XXXV, P. 134-135. Cf. Grousset, P. 301-302.

(١٣٧) Sébēos, XXXV, P. 135; Jean Catholicos, XII, P. 74-75. Cf. Ghazarian, P. 31.

الصلاة جنباً إلى جنب مع الامبراطور ، بعضهم عن طيب خاطر « والبعض الآخر رغماً عن أنفه » على حد قول سبيوس . ولم يمر هذا الاحتفال الدينى بلا ضجيج ، إذ قام أحد أساقفة الأرمن بتأنيب قنسطنز أثناء الصلاة ، كما ذكّر البطريرك الأرمنى نرسيس الثالث بالتبدل الذى طرأ على موقفه السابق فى المجمع المسكونى السادس فى دوين ، ومعارضته آنذاك لمذهب الطبيعتين(١٣٨) .

بعد هذه الحملة ، غادر الامبراطور البيزنطى دوين متوجهاً إلى القسطنطينية بعد أن عين شخصاً يدعى موريانوس Maurianos حاكماً على أرمينية . أما البطريرك الأرمنى نرسيس ، فقد ترك دوين وذهب ليقيم فى الطاييك Taykh ، لأنه خشى البقاء فى دوين خوفاً من انتقام ثيودور الرشتونى وأنصاره ، بسبب تعاطفه ومناصرته للبيزنطيين . ويواصل سبيوس سرده قائلاً إن ثيودور وصهره همازسب ماميكونيان Hamasasp Mamikonian تحصناً فى جزيرة أجثامار إلى أن أنسحب الامبراطور البيزنطى ، وسرعان ما طلب ثيودور مساعدة من المسلمين(١٣٩) ، فأسرع سبعة آلاف جندى لنجدته ، فأسكنهم فى الشمال وشمال غرب بحيرة وان Van ، فى اليوفيت Aliovit وبزنونيك Bznouniq ، وأقام بينهم . وبانقضاء فصل الشتاء من عام ٦٥٥ م/٣٥ هـ ، هاجم المسلمون أرمينية ، وتمكنوا بالتعاون مع جيش ثيودور الرشتونى من طرد البيزنطيين من كل ربوعها ، بل وطاردوهم حتى البحر الأسود . ثم هاجم المسلمون مدينة طرابيزون

(١٣٨) Sébêos, XXXV, P. 136-138; Jean Catholicos, XII, P. 75-76; Vardan, P. 88-89. Cf. Laurent, P. 242.

(١٣٩) أورد البلاذرى رواية مشابهة قليلاً لرواية سبيوس . إذ قال : « حدثنى محمد بن سعد عن الواقدين عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : حاصر حبيب بن مسلمة أهل دبيل [دوين] فأقام عليها فلقيه الموريان الرومى فبيته وقتله وغنم ما فى عسكره ، ثم قدم سلمان عليه ، والثبت عندهم أنه لقيه بقاليقلا » . أنظر : فتوح البلدان ، حـ ١ ، ص ٢٣٥ .

Trébizonde ، وأنسحبوا منها محملين بكميات هائلة من الغنائم وأعداد كبيرة من الأسرى .

وبعد نجاح الزعيم الأرمنى ثيودور فى طرد فلول الجيش البيزنطى بفضل مساعدة المسلمين ، بلغت المودة بينه وبين المسلمين أقصاها لدرجة أنه ذهب إلى معاوية بن أبى سفيان فى دمشق ، فأغدق عليه والى الشام الهدايا والألقاب ورنكاً ذهبياً ، وخلعاً موشاة بالذهب والخيوط الذهبية ، وأسند إليه القيادة العليا ، إذ عينه حاكماً عاماً على أرمينية وبلاد الكرج والألبان وسيونيك والبلاد القوقازية حتى دربند(١٤٠) . ودخل جيش عربى إلى أرمينية بموافقة ثيودور الرشتونى ، فاعترف كافة أشراف الأرمن بالسيادة الإسلامية على بلادهم . وأمضى الجيش العربى فصل الشتاء فى دوين دون أن يقوم بأية عمليات حربية ، ثم انسحب بعد ذلك إلى بلاد الشام(١٤١) .

بعد ذلك ، قطع سبيوس أخبار وطنه أرمينية ، ليتحدث فى الفصل السادس والثلاثين(١٤٢) عن خطاب أرسله الخليفة عثمان بن عفان (٢٤ ــ ٣٥ هـ/٦٤٤ ــ ٦٥٦ م) إلى الامبراطور البيزنطى

(١٤٠) Sébēos, XXXV, P. 138-139. Cf. Grousset, P. 302-303; Laurent, P. 402.

ويلاحظ أن جروسيه أخطأ حين قال : « توجه الرشتونى إلى بلاط الخليفة معاوية فى دمشق » . علماً بأن الرشتونى توفى سنة ٦٥٤ م/٣٤ هـ ، وكان معاوية لا يزال والياعلى بلاد الشام ، ولم يصل بعد إلى عرش الخلافة . أنظر : Grousset, P. 303 .

وعن التحديد التأريخى الصحيح لوفاة ثيودور الرشتونى أنظر Jean Catholicos, P. 409. Cf. Laurent, P. 403. كذلك خلط مركوارت بين الزعيم الأرمنى ثيودور الرشتونى والقائد البيزنطى ثيودوروس أنظر : Marquart, Osteropaïsche, P. 440. .

أما تورنبيز وغازاريان ، فقد افترضا عن طريق الخطأ أن القائد البيزنطى ثيودوروس Théodoros هو نفسه ثودوروس فهيونى Théodoros Vahewuni . أنظر : Tournebize, P. 355; Ghazarean, P. 29.

(١٤١) Sébēos, XXXVI, P. 142.

(١٤٢) Sébēos, XXXVI, P. 139-143.

وقد ترجم هوبشمان هذا الفصل إلى الألمانية . أنظر : Zur Geschichite, P. 35 SQQ.

قسطنز جاء فيه : « إذا أردت العيش فى سلام ، تخل عن عقيدتك التى نشأت عليها منذ طفولتك ، واعتنق الإسلام ، ثم اطلق سراح جنودك وأعدهم إلى بلادهم . عقب ذلك ، سأجعلك قائداً عاماً على هذه البلاد ، وسأرسل عمالى إلى مدينتك ، وسأقوم بجمع كل الكنوز والثروات ، وسأقسمها إلى أربعة أنصبة ، ثلاثة لى ، والربع لك . وسأزودك أيضاً بالكتائب التى تحتاج إليها ، وسأتحصل منك الجزية التى باستطاعتك دفعها . فإذا رفضت مطالبى هذه ، توعد منى مصيراً مشابهاً لمصير المسيح الذى لم يتمكن من إنقاذ نفسه من قبضة اليهود . فأنت بدورك لن تفلت من قبضتى »(١٤٣) .

عقب ذلك ، إنفرد سبيوس — دون غيره من المصادر — بذكر أخبار حملة بحرية أعدها معاوية بن أبى سفيان(١٤٤) أحسن إعداد ؛ فأورد أن معاوية ، قائد الجيوش الإسلاميه ، والمقيم آنذاك فى دمشق ، عبأ جنوداً من كافة ربوع دار الإسلام . وقام ببناء سفن حربية(١٤٥) فى

(١٤٣) Sébêos, XXXVI, P. 139-140.

(١٤٤) يسميه سبيوس « ماوياس » Mawias أنظر : Histoire D'Héraclius, P. 110 et n. 2.

(١٤٥) ذكر المؤرخون المسلمون أن أول من ركب البحر هو العلاء بن الحضرمى (أنظر : البلاذرى : ص ٤٦٤ ؛ المقريزى : حـ ١ ، ص ٢٧١ ؛ الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٩٤ — ١٩٦ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، حـ ٢ ، ص ٢١٤) والى الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين . فقد خرج بإثنى عشر ألفاً من الجند المسلمين من غير إذن الخليفة لغزو بلاد فارس ، فعبر بسفنه الخليج الفارسى ، وعاد المسلمون إلى البصرة محملين بالغنائم ، ولكنهم فقدوا معظم سفنهم التى خرجوا بها . وعلم الخليفة عمر بهذه الحملة فأبدى غضبه على العلاء وولى سعد بن أبى وقاص الإمارة وجعل العلاء مرؤوساً له . والجدير بالذكر أن معاوية كان صاحب الدعوة الأولى إلى بناء الأسطول الإسلامى فى البحر المتوسط ، ثم آزره فى تلك الدعوة والى مصر عبد لله بن أبى السرح . ويذكر أن معاوية بعث إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ركوب البحر ، فبعث عمر بدوره إلى عمرو بن العاص — والى مصر آنذاك — رسالة يطلب فيها من عمرو أن يصف له البحر ، فبعث عمرو رسالة أفزعت الخليفة من ركوب المسلمين البحر ، فكتب إلى معاوية يمنعه من ركوبه قائلاً له « لا والذى بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً . (أنظر : المقريزى : حـ ١ ، ص ٢٧١ ؛ حـ ٢ ، ص ١٩٠ ؛ الكندى : القضاة والولاة ، ص ٥٩) . وقد علل ابن خلدون فى مقدمته سبب إمتناع المسلمين فى صدر الإسلام عن ركوب البحر » أنظر : المقدمة ، ص ٢٢٠ . أنظر أيضاً : حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية — القاهرة ١٩٨٣ — ص ٨٢ — ٨٣ .

الاسكندرية وكافة المدن الساحلية الخاضعة للسيادة الإسلامية ، وزودها بالأسلحة والمعدات والآلات الحربية . وهكذا ، تجمعت تحت إمرته ثلاثمائة من السفن الكبيرة ، حملت كل واحدة منها ألف من أمهر الفرسان . كذلك نجح فى تجهيز خمسة آلاف من الطرادات الخفيفة الحركة ، حملت كل واحدة على متنها مائة مقاتل فقط حتى تمخر عباب البحر بسرعة بالغة ، وتلتف حول السفن الكبيرة للدفاع عنها . أبحرت كل هذه السفن ــ الذى بالغ سبيوس فى ذكر أعدادها وتعداد بحارتها البالغ عددهم ثمانمائة ألف مقاتل ــ أبحرت إلى خلقيدونية، فأذعن للمسلمين كل سكان البلاد التى وصلت إليها هذه المظاهرة الحربية ، بل أيضاً كل سكان الشواطئ والجبال والسهول .

حينئذ ، أسرع الجيش البيزنطى إلى القسطنطينية للدفاع عنها ، بينما كانت الجيوش الإسلامية متوجهة إليها ، كان ذلك فى العام الثالث عشر من حكم قنسطنز ، أى عام ٦٥٣ م(١٤٦) . ثم قام معاوية بترتيب السفن الخفيفة الصغيرة على الشاطئ حتى يكون باستطاعتها نجدة السفن الكبيرة والثقيلة عند وصولها إلى خلقيدونية. بعد ذلك أرسل معاوية خطاب الخليفة السالف ذكره إلى قنسطنز ، فتسلمه الامبراطور البيزنطى وقرأه ، فانتابه الفزع وتضرع وصلى إلى الله حتى ينصره ، وأصدر أوامره إلى البيزنطيين بالصوم والصلاة ليساعدهم الله على اجتياز محنتهم .

أخيراً ، وصلت السفن العملاقة من الاسكندرية إلى خلقيدونية وبصحبتها البقية الباقية من السفن الصغيرة . وكانت سفن الأسطول الإسلامى مسلحة أحسن تسليح ، ومجهزة تجهيزاً كاملاً ؛ إذ كان على متن كل سفينة المجانيق ، وآلات لقذف المواد الملتهبة ، وآلات حربية

(١٤٦) Sébēos, XXXVI, P. 140, n. 1.

لرمى الحجارة خلاف المجانيق ، والأبراج العالية . كذلك ضمت الحملة البحرية رماة السهام ورماة المقاليع حتى يتمكن الجنود من تسلق الأسوار الحصينة بسهولة حين يقتربون منها ، وذلك بأن يقيموا قنطرة من الألواح على الفضاء القليل الذى يفصل بين البرج ، ويعبرو عليه إلى الحصون والأسوار ، وبهذه الخطة الحربية الماكرة يستطيعون التسلل إلى داخل المدينة . وقام معاوية بترتيب سفنه استعداداً للمعركة الفاصلة ، فوجهها شطر المدينة . إلا أنه عندما وصلت السفن على بعد مضمارين من اليابسة ، أنزل الله من أعالى السماء جم غضبه على المسلمين ــ على حد قول سبيوس ــ فانطلقت عاصفة بحرية مفزعة قلبت البحر رأساً على عقب ، وتعالت الأمواج ووصلت إلى قمم أعلى الجبال ، وثارت الزوابع ، ودوى الرعد فى كافة أرجاء البحر ناشراً الفزع فى القلوب . فتساقطت الأبراج الخشبية والآلات والمعدات الحربية العملاقة ، وتحطمت السفن ، وغرق هذا الحشد الهائل من المقاتلين فى أعماق مياه البحر . أما الذين نجحوا فى التعلق بألواح السفن المحطمة ، فقد تقاذفتهم الأمواج صعوداً وهبوطاً ، وانتهى بهم المطاف بأن ابتعلتهم المياه ، حتى أنه لم يفلت أحد من هذه الحملة البحرية الإسلامية المجهزة أحسن تجهيز . وهكذا ، أنقذ الله المدينة وحماها من المسلمين بفضل صلوات الامبراطور التقى قنسطنز حسب قول سبيوس المتعاطف تعاطفاً واضحاً مع البيزنطيين والمتحامل على المسلمين . واستمرت هذه العاصفة البحرية المفزعة طوال ستة أيام(١٤٧) .

ويذكر سبيوس أنه عقب إغراق السفن الإسلامية ، تحطمت معنويات المسلمين نتيجة هذه الكارثة البحرية ، فغادروا خلقيدونية منسحبين إلى بلادهم . أما الجيوش الإسلامية الأخرى والتى كانت

(١٤٧) Sébēos, XXXVI, P. 140-142.

متواجدة فى منطقة قبادوقيا ، فقد خاضوا حرباً ضد البيزنطيين(١٤٨) منيوا فيها بهزيمة ، فأسرعوا بالانسحاب وأغاروا وهم فى طريق انسحابهم على أرمينية الرابعة ، فعانت على يدهم الأمرين(١٤٩) .

بعد هذه الكوارث المتلاحقة ، أقام جيش المسلمين فى دوين ، وخطط للإغارة على بلاد الكرج . فطلب المسلمون من الكرج إما الخضوع للسيادة الإسلامية ، وإما مغادرة بلادهم والرحيل عنها . لكن الكرج رفضوا مطالب المسلمين ، وحشدوا الجيوش لقتالهم . فاستعد المسلمون لمجابهتهم علماً بأن استعداداتهم لم تكن على خير ما يرام . لكن برد الشتاء الفارسى وثلوجه وجليده كانت أهم العوائق التى وقفت حائلاً أمام تحقيق المسلمين لأهدافهم . فعادوا ثانية إلى دار الإسلام(١٥٠) .

(١٤٨) أطلق مؤرخو الارمن لفظ « الرومان » على البيزنطيين ، كما أطلقوا على أباطرتها لفظ « أباطرة الرومان» . واستمرت هذه التسميات إلى أن سقطت القسطنطينية فى قبضة الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣ م .

ويرجع ذلك إلى أيام قسطنطين الكبير ونقله عاصمة الامبراطورية إلى القسطنطينية التى اتخذتها اسم « لروما الجديدة » أو « روما الثانية » تمييزاً لها عن روما القديمة فى الغرب ، وقد ذكر مؤرخ شامى مجهول ، حفظ لنا مصنفه المؤرخ ميخائيل السريانى « أن أباطرة بيزنطة استمرت تسميتهم « رومان » نسبة إلى روما الجديدة » .

انظر : Dulaurier, Extrait de la Chronique de Michel le Syrien, J.A., Octobre 1848, P. 293.

ونلاحظ أن أرستاكيس — مؤرخ القرن الحادى عشر الميلادى — استخدم لفظ « يوناك تون » Yunac ، Tun ، للدلالة على بلاد الروم . أنظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة فى مصنف أريستاكيس اللستيفرتى ، ص ١٤٢ ، حاشية رقم ٣٣ ؛ استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية « آنى » سنة ٤٥٦ هـ /١٠٦٤ م — الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٢٨ ، حاشية رقم ١ .

(١٤٩) Sébēos, XXXVI, P. 142.

وعن أرمينية الرابعة ، أنظر : فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين ، ص ٩١ ، حاشية رقم ١٢٤ .

(١٥٠) Sébēos, XXXVI, P. 142.

ويتحدث سبيوس بعد ذلك عن اجتماع موسع ضم جميع زعماء الأرمن من مؤيدى السيادة البيزنطية ومؤيدى السيادة الإسلامية على حد سواء ، اتفق فيه الجميع على ايقاف الحرب وتجنب سفك الدماء . وبذلك انقضى فصل الشتاء فى سلام . وكان ثيودور الرشتونى مريضاً آنذاك ، فتوجه إلى جزيرة أجثامار . أما زعماء الأرمن ، فقد اقتسموا أرمينية فيما بينهم ، كل حسب أعداد فرسانه ، وتقاسموا بذلك ضرائب البلاد ونهبوا الخزانة العامة . أمام هذه الفوضى ، لم يتردد ثيودور من استدعاء جيش المسلمين لإعادة النظام إلى ربوع أرمينية(١٥١) .

بعد ذلك ينتقل سبيوس فجأة فى الفصل السابع والثلاثين(١٥٢) من مصدره « تاريخ هرقل » للحديث عن ثورة الميديين ــ أى سكان إقليم الجبال ــ على السيادة الإسلامية ، وادعى أن سبب الثورة يرجع إلى عنف وقسوة المعاملة التى عانوا منها على يد المسلمين ، وثقل الجزية التى أثقلت كاهلهم . ويذكر أن سكان إقليم الجبال قاموا بقتل المسئول عن جباية الجزية ، وفروا إما إلى قلاعهم الصعبة المرام ، وإما إلى الغابات الكثيفة والجبال الوعرة والوديان الشديدة العمق القريبة من نهر جاز Gaz . كما التجأ بعض الميديين إلى الاحتماء بقبائل الدل Del والديلم Delums المشهورين بالعنف والضراوة فى خوض المعارك الحربية .

ويدعى سبيوس أن سكان إقليم الجبال قرروا إما الموت وإما التخلص من السيادة الإسلامية ، فأعادوا تنظيم صفوفهم لمواجهة المسلمين . أما الجيش الإسلامى ، فكان من الصعب عليه مواجهة

---

(١٥١) Sébêos, XXXVI, P. 142-143. Cf. Grousset, P. 303.

(١٥٢) Sébêos, XXXVII, P. 143-144.

وقد ترجمه هوبشمان إلى الألمانية أنظر : Zur Geschichte, P. 38 SQQ.

الجبال الوعرة وتسلقها ، خاصة بعد أن فشل فى السيطرة على مدينتى كثروس Kethrus وسكيوثيا Skiwtheay وأنهار الديلم Delums وإخماد ثورة الشعوب القاطنة فى تلك الأماكن الحصينة . إضافة إلى ما تقدم ، استشهدت جموع لا تحصى من المسلمين حين حاولوا السيطرة على القلاع الشامخة الحصينة ؛ أما البعض الآخر ، فقد استشهد أثناء محاولته عبور الغابات والأحراش ، إذ انهال عليه الميديون بوابل السهام المنهمرة كالمطر . أمام هذه المصاعب الحربية الجمة التى لم يألفها المسلمون ، اضطروا إلى الانسحاب جنوباً نحو بحر الخزر (أى بحر قزوين) ، وعبروا مضيق كابان Kapan ، والحقوا الهزيمة الساحقة بحامية كانت قد عبرت باب اللان لقتالهم ، حينئذ ، زحف جيش آخر من مدينة ثيتال Thétals لمواجهة المسلمين ، وتمكن الثيتاليون من هزيمة المسلمين الذين لاذوا بالفرار محاولين عبور المضايق ، فتعقب فلولهم الثيتاليون وأتوا على معظمهم ، ونجح عدد قليل من المسلمين بمشقة بالغة فى الوصول إلى طيسفون . وهكذا ، كانت الطبيعة الوعرة لمنطقة إقليم الجبال عائقاً أمام بسط المسلمين سيادتهم على هذه المناطق(١٥٣) .

وبعد هذا الشرود للحديث عن ثورة إقليم الجبال على السيادة الإسلامية ، عاد سبيوس ثانية إلى أرمينية . فذكر فى الفصل الأخير من مصدره(١٥٤) أن الأمور سارت فيها لصالح السيادة الإسلامية ، حتى أن موشيل ماميكونيان ــ الزعيم المؤيد للنفوذ البيزنطى ــ خضع للنفوذ الإسلامى ونبذ السيادة البيزنطية على بلاده(١٥٥) . ووصلت الأمور إلى أقصى مداها حين أصبح القائد العربى حبيب بن مسلمة ، المقيم فى

(١٥٣) Sébēos, XXXVII, P. 143-144.

(١٥٤) Sébēos, XXXVIII, P. 145-148.

وقد ترجم هوبشمان هذا الفصل إلى الألمانية . أنظر : Zur Geschichte, P. 40 SQQ.

(١٥٥) Sébēos, XXXVIII, P. 145. Cf. Grousset, P. 303.

أرودج Aroudj فى اقليم أراجدزوتن Aragadzotn بمثابة الحكم الذى يفصل فى النزاع الدائم بين رجال الاقطاع الأرمن(١٥٦) .

وبذلك أصبحت أرمينية من أقصاها إلى أقصاها خاضعة للسيادة الإسلامية على حد قول سبيوس(١٥٧) . لكن بيزنطة لم تيأس من ضياعها وحاولت استعادتها . فبقدوم فصل الشتاء ببرده القارس ، انتهز القائد البيزنطى موريانوس Maurianos تلك الفرصة السانحة ليشن هجوماً مضاداً على المسلمين . ولم يتمكن المسلمون المتأقلمون على جو الصحراء من مجابهة البيزنطيين ، فعبروا نهر الرس Araxe ، وانسحبوا إلى زريهافان Zaréhavan فى مقاطعة بغروند Bagrévand ، وتمكن البيزنطيون من احتلال دوين بعد نهب قلعتها . ثم سار القائد البيزنطى موريانوس بعد ذلك إلى نقجوان وحاصر قلعتها استعداداً لنهبها كما فعل من قبل فى دوين . وبمجئ فصل الربيع ، استعد القائد البيزنطى لقتال المسلمين . فانقض عليه المسلمون انقضاضاً أثناء حصاره لقلعة نقجوان ، والحقوا بالبيزنطيين شر ألوان الهزائم . أما موريانوس ، فقد لاذ بالفرار إلى بلاد الكرج ، فتعقبه المسلمون ، وحاصروا مدينة كارين ـــ عاصمة أرمينية البيزنطية ـــ ، ونجحوا فى

(١٥٦) Grousset, P. 303.

ويقع إقليم أراجدزوتن (أوارا جاكتن) (Aragadzotn (Aragacotn شرق أخوريان ، الرافد الأيسر لنهر الرس . أنظر : Laurent, P. 42. .

والجدير بالذكر أن حبيب بن مسلمة توفى سنة ٤٢ هـ /٦٦٢ م بأرمينية . ففى هذا الصدد يقول ابن الأثير : « وفيها (أى سنة ٤٢ هـ) مات حبيب بن مسلمة الفهرى بأرمينية . وكان أميراً لمعاوية عليها ، وكان قد شهد معه حروبه كلها » . (أنظر : الكامل فى التاريخ ، حـ ٣ ، ص ٤٢٤) . وقد انضم حبيب بن مسلمة الفهرى بجيوشه الموجودة فى أرمينية إلى صفوف معاوية بن أبى سفيان فى حربه الدامية ضد على بن أبى طالب (أنظر ترجمته استناداً على المصادر الإسلامية فى Laurent, P. 409-410.) . ولقب « بحبيب الروم » أو « حبيب الدروب » لكثرة جهاده فى الروم وسلوكه كل جبال طوروس . أنظر : فايز نجيب اسكندر : بلاد الكرج بين البيزنطيين والمسلمين ـــ القاهرة ١٩٨٨ ـــ ص ٤٣ .

(١٥٧) Sébêos, XXXVIII, P. 145.

الاستيلاء عليها بعد مقاومة ضئيلة من جانب حاميتها . إذ أن الحامية لم تستطع الصمود ، ففتحت أبواب المدينة واستسلمت للمسلمين . كما نجح المسلمون فى بسط نفوذهم على شمال أرمينية ، حيث أخضعوا بلاد الألبان وإقليم سيونيك ، وحملوا غنائم طائلة من ذهب وفضة وثروات هائلة إلى دمشق ، واصطحبوا معهم ثيودور الرشتونى وأسرته ، ومكث بدمشق حتى وفاته سنة ٦٥٤ م(١٥٨) /٣٤ هـ .

بعد ذلك ذكر سبيوس أن المسلمين قاموا بتعيين همازسب ماميكونيان Hamazasp Mamikonian — صهر ثيودور الرشتونى — خلفاً له كحاكم عام على أرمينية(١٥٩) . فانتهز همازسب الفرصة المواتية ، وأعلن خضوع أرمينية للنفوذ البيزنطى . وبفضل مساعى

(١٥٨) Sébēos, XXXVIII, P. 146; Jean Catholicos, XII, P. 76; Asolik, P. 127. Cf. Laurent, P. 402.

وقد أخطأ جروسيه حين حدد سنة وفاة ثيودور الرشتونى بسنة ٦٥٥ م . أنظر : Grousset, Histoire de L'Arménie, P. 304. وقارنه مع Jean Catholicos, P. 409. وسبيوس ولوران .

والجدير بالملاحظة أن أسباب اصطحاب ثيودور إلى دمشق راجع إلى أن المسلمين ساورتهم الشكوك من ازدياد قوة ونفوذ الزعيم الأرمنى ، وتوقعوا إما أن يطلب ثانية الحماية البيزنطية ، وإما أن يستقل بالبلاد بعيداً عن المسلمين والبيزنطيين ، خاصة بعد أن قمع العرب خصومه الذين كانوا يناصبونه العداء . لذا ، قضوا على هذه الشكوك بإبعاده عن مركز ثقله أرمينية ، حفاظاً على أرمينية من خطره .

وعن بغروند Bagrevand قال ياقوت فى معجمه إنها بلد معدود فى أرمينية الثالثة . أنظر : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٦٧ .

وقد نقل عنه البغدادى . أنظر : مراصد الإطلاع ، حـ ١ ، ص ٢٠٩ . أما برودوم ، فيقول إنه إقليم فى مقاطعة آرارات ، عند منابع الفرات ويجاور إقليم أرشارونيك Arsarounik ، وإقليم باسيان Basean وإقليم دزاج أودن Oden ، Dzagh . أنظر : Arisdagues, Tr. Prud'Homme, P. 11, n. 3. ، أنظر أيضاً : Saint-Martin, Mémoires, T.I, P. 108; Indjidj, Arménie, P. 403.

أما كانار ، فقد اكتفى بالقول أنه الإقليم السادس فى مقاطعة آرارات . أنظر : Aristakès, Tr. Canard, P. 6, n. 6.

(١٥٩) Sébēos, XXXVIII, P. 146; Jean Catholicos, XII, P. 76. Cf. Grousset, P. 304.

البطريرك الأرمني نرسيس الثالث ، عين الامبراطور البيزنطى قنسطنز همازسب قربلاطاً[١٦٠] Curopalate ، وأنعم عليه بعرش من الفضة ، وحكّمه على بلاد الأرمن . كذلك منح العاهل البيزنطى بقية القادة الأرمن مراتب شرفية[١٦١] ، ووزع الأموال الطائلة على الجيش الأرمنى[١٦٢] .

وكان لخيانة همازسب رد فعل قوى فى دار الإسلام ، فقام المسلمون بقتل الرهائن والأسرى الأرمن كما يدعى سبيوس[١٦٣] . ثم اختتم المؤرخ الأرمنى المعاصر للفتوحات الإسلامية لأرمينية مصنفه بإظهار شماتته لاندلاع الاضطرابات والاقتتال الدامى وتفرق الكلمة وتمزق وحدة الصف فى دار الإسلام وذلك عقب اندلاع الفتنة

---

(١٦٠) شملت قائمة التشريفات البيزنطية ثمانية عشر لقباً تشريفياً . وكان اللقب الثامن عشر الأوهو « قيصر » César أعلى تلك المراتب . أما لقب « قربلاط » Curopalate فكان فى المرتبة السادسة عشرة .

ومنذ عام ٥٨٨ م ، منح هذا اللقب إلى الحكام الكرج . ومنذ عام ٦٣٥ م /١٤ هـ أغدق به الامبراطور البيزنطى على الحكام الأرمن أيضاً . أنظر : Aristakès, P. 2, n. 3. Cf. Diehl : Justinien et la Civilisation Byzantine au VI[e] Siècle, Paris, 1901, P. 98.

(١٦١) Sébêos, XXXVIII, P. 148; Jean Catholicos, XII, P. 77. Cf. Grousset, P. 304.

(١٦٢) الأرمنى وليس الأرمينى ، ويؤكد ذلك قول الشاعر :

ولو شهِدَتْ أمُّ القُدَيْدِ طِعانَنَا   بِمَرْعَش خَيَل الأرمنى أرَنَّت

ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ١٦٠ البغدادى : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، حـ ١ ، ص ٦٠ حاشية ٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩٤ — ٢٩٥ ؛ القزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٢٤ . أنظر أيضاً : فايز نجيب اسكندر : غزو الامبراطورية البيزنطية لأرمينية سنة ١٠٤٥ م /٤٣٧ هـ — القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٢٨ ، حاشية رقم ١ ؛ استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية « آنى » سنة ٤٥٦ هـ /١٠٦٤ م — الاسكندرية ١٩٨٧ — ص ٢٨ ، حاشية رقم ٤ .

(١٦٣) Sébêos, XXXVIII, P. 148; Jean Catholicos, XII, P. 77. Cf. Grousset, P. 304.

والملاحظ أن جون كاثوليكوس نقل هذه الأحداث بإيجاز عن سبيوس . قارن : Sébêos, XXXVIII, P. 146-149. مع Jean Catholicos, XII, P. 76-78.

الكبرى بين على ومعاوية . وانتهى به المطاف إلى ذكر انتصار معاوية وانتشار السلام فى ربوع دار الإسلام(١٦٤) .

ختام القول ، تمكن الخليفة معاوية بن أبى سفيان سنة ٦٦١ م / ٤١ هـ من إعادة السيادة الإسلامية على أرمينية(١٦٥) . وعين الأمير جريجوار ماميكونيان(١٦٦) ــ شقيق همازسب ــ حاكماً عليها(١٦٧) . وكان جريجوار فى دمشق كرهينة ، فطلب البطريرك نرسيس وأشراف الأرمن تعيينه حاكماً على البلاد ، فقبل معاوية مطلبهم فى الحال . وهذا لدليل واضح على التحرر النسبى للسيادة الإسلامية ، والاعتراف بحرية الأرمن فى اختيار زعيمهم . إضافة إلى ذلك ، فإن المؤرخين الأرمن يصفون جريجوار على أنه « رجل خير ، يتميز بصفات روحية عالية ، وأنه كان عادلاً هادئاً عذب الحديث »(١٦٨) . وبشهادة جون كاثوليكوس ، فإن إدارته كانت خيرة إلى حد بعيد ، وكان شغله الشاغل تشييد العمائر الدينية(١٦٩) . وهذا لدليل مادى قاطع على أن

---

(١٦٤) Sébêos, XXXVIII, P. 149; Jean Catholicos, XII, P. 78.

(١٦٥) Grousset, P. 304.

(١٦٦) عن جريجوار ماميكونيان أنظر : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ١١٤ ، حاشية رقم ٢٣٧ .

(١٦٧) شغل هذا المنصب من سنه ٦٦٢ م حتى وفاته فى قتاله ضد الخزر سنة ٦٨١ م . أنظر : Laurent, P. 402.

وتضاربت الآراء حول سنة وفاته ، فمركورات يذكر أنه توفى فى معركة ضد الخزر سنة ٦٨٥ م ونقل عنه جروسيه (أنظر : Marquart, Streifzüge, P. 514. وأيضاً Grousset, P. 305.) أما توما نوف ، فقد حدد وفاته فى ١٣ يونيو سنة ٦٨٤ م . (أنظر : Toumanoff, Studies in Caucasian History, P. 398 et n. 331) . وقد ذكر جيراجوس الجندزاكى أن جريجورا شغل منصب « مرزبان » Marzban فى الفترة من ٦٥٩ إلى ٦٦٩ م . أنظر : Kirakos de Gandzak, Ch. II, P. 33 et n. 3. .

(١٦٨) Jean Catholicos, XII, P. 78; Ghévond, P. 14.

(١٦٩) Jean Catholicos, Xii, P. 79.

المسيحية فى أرمينية كانت تدير مصائرها وأمورها فى سلام وأمن فى ظل الحماية الإسلامية ، ولم تنعم بذلك فى ظل الحماية البيزنطية . والدليل على ذلك قول جيفوند « إن البلاد نعمت بسلام عميق »(١٧٠) ؛ إضافة إلى ذلك قول إتيين أسوليك الطارونى Etienne Asolik « لقد أعاد أمير أرمينية جريجوار ماميكونيان السلام لبلاده أرمينية »(١٧١) .

هكذا ، انسلخت أرمينية عن الامبراطورية البيزنطية ، وخضعت للسيادة الإسلامية عن طيب خاطر(١٧٢) . وليس هذا بغريب ، فقد كانت العلاقات بين البيزنطيين والأرمن يشوبها الكره المتبادل بين الطرفين . فمن الأقوال البيزنطية المأثورة : « ان الصديق الأرمنى هو أسوأ الأعداء ، فالأرمنى كاذب وخائن ومحتال » . أما الأرمن ، فكانت من أقوالهم المأثورة على حد قول « لازار الفاربى » Lazare de Pharbe فى مصدره « تاريخ أرمينية » Histoire D'Arménie أن البيزنطيين يتميزون بالضعف والخداع . وأضاف المؤرخ « ميخائيل السريانى » Michel le Syrien فى « مدونته التاريخية » Chronique أن الأرمن قالوا عن البيزنطيين : « انهم أسوأ الأسياد ، يتسمون بسوء النية ، ويسيطر على عقولهم الجنون بسبب حقدهم على كل

(١٧٠) Ghévond, P. 14.

(١٧١) Asolik, P. 154.

(١٧٢) من الجائز أن يكون لفتح أرمينية أثره الكبير فى جمع القرآن الكريم فى نص موحد . فقد ذهل حذيفة بن اليمان ــ أحد قواد العرب ــ بسبب الاختلاف فى قراءة القرآن الكريم بين جنوده من أهل العراق والشام ، فقدم على عثمان بن عفان وقال له : « أدرك الأمة قبل أن يختلفوا إختلاف اليهود والنصارى » . لذلك عمل الخليفة عثمان بن عفان على جمع القرآن الكريم فى نص واحد . أنظر عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية ــ القاهرة ١٩٦٥ ــ حـ ١ ، ص ٢٥٠ نقلا عن البلاذرى : انساب الأشراف ــ الجزء الخامس تحقيق أهلوردت Ahlwardt ــ ص ٦٢ : السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ــ الطبعة الثالثة فى جزءين ــ مصر ١٣٦٠هـ ــ حـ ١ ، ص ١٠٢ .

الأرثوذكس المخالفين لهم مذهبياً » . كذلك اتهمهم المؤرخ الأرمنى « إتيين أسوليك الطارونى » Etienne Asolik فى مصدره « التاريخ العالمى » Histoire Universelle بالبخل الشديد ، إذ قال : « ليس من المعتاد عند البيزنطيين أن يتسم الانسان بالكرم ، بل أن كلمة الكرم لم ترد فى قواميس لغتهم » . ومن الغريب أيضاً أن المسلمين وصفوا الروم بالبخل ، فقد ذكر ذلك « الجاحظ » فى « كتاب البخلاء » ، ويبدو أن مصدر ذلك ، هو ما أشاعه الأرمن عنهم .

وقد فاق المؤرخ الأرمنى « متى الرهاوى » Matthieu D'Edesse فى « مدونته التاريخية » Chronique (أنهى حوليته سنة ١١٣٦ م / ٥٣١ هـ) فى حقده وكرهه للبيزنطيين غيره من مؤرخى الأرمن حين قال « فقدت مملكتنا أصحابها الشرعيين نتيجة عملية الضم إلى الامبراطورية البيزنطية المنخورة القوى ، تلك الأمة المخنثة الخسيسة الدنيئة ... ولقد اشتهر الروم بسرعة الفرار من ميادين القتال ، فكانوا أشبه بالراعى الذى يلوذ بالفرار بمجرد أن يلاحظ ذئباً ... »(١٧٣) .

ختام القول ، نجح المؤرخ الأرمنى سبيوس فى مصدره « تاريخ هرقل » فى رسم لوحة واضحة المعالم لأحداث عصره المتقلب بوجه عام ، وتاريخ بلاده السياسى والدينى بوجه خاص . وبما أنه كان أسقفاً ، لذا كان خير من أرخ لعصره الجارف بالأحداث السياسية منها

(١٧٣) Vita Euthymii, ED. De Boor, Berlin, 1888, P. 2; Lazare de Pharbe, Histoire D'Arménie, Dans, V. Langlois, Collection des Historiens Anciens et Modernes de L'Arménie, Paris, 1869, T. II, Ch. 64, P. 344; Ch. 66, P. 362; Michel le Syrien, Chronique, Trad. B. Chabot, Paris, 1899, T. II, P. 482; Asolik, Histoire Universelle, Trad. F. Macler, Paris, 1917, T. III, Ch. 3, P. 116; Matthieu D'Edesse, Chronique, Trad. Ed. Dulaurier, Paris, 1858, Ch. LXXXIV, P. 113.

للتفاصيل أنظر : فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٦٣ — ٦٤ . وكذلك : البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد (١٠٧١ م/٤٦٣ هـ) فى مصنف نقفور برينيوس — دراسة مقارنة للمصادر — الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٥٦ — ٥٧ ، حاشية رقم ٥٦ .

والدينية ، والتى قلبت العالم آنذاك رأساً على عقب ، وأدخلت تعديلات جذرية على خريطته . وترجع أهمية مصدره إلى كونه المؤرخ الوحيد الذى كان شاهد عيان لأحداث الفتوحات الإسلامية عامة ولوطنه أرمينية خاصة ؛ لذا ، حظى مصنفه باهتمامات المؤرخين الأرمن اللاحقين له ، فنقلوا عنه الكثير ، كذلك لم يغفل المؤرخون المحدثون أهمية هذا السفر الهام ، فأقبلوا على ترجمته إلى كافة اللغات كما سبق أن أوضحنا .

ونخلص من كتابات سبيوس أن أرمينية لم تعرف طوال فترة تأريخه لها حياة الدعة والسلام . فأرضها كانت دائماً مسرحاً للحروب والتصادم بين مختلف الحضارات العظيمة التى كانت تعيش على أطرافها . وقد أدرك اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ /٨٩٧ م) بعين الفاحص المدقق ذلك الوضع الغريب الذى عاشته وعايشته أرمينية حين ذكر أن « أرمينية بلد يحيط بها أعداؤها »[١٧٤] .

وعلى هذا ، ليس لأرمينية فى الواقع الحدود الطبيعية المتسمة بالثبات . فهى دائمة التقلص والامتداد تبعاً لأحداث التاريخ المتعاقبة باستمرار . فكل انتصار يحققه الشعب الأرمنى كان يتبعه امتداد وتوسع فى رقعة الأرض ، وتغدو هذه الأرض جزءاً من أرمينية الأم . وكل هزيمة تعقب هذه الانتصارات يتبعها تقلص للحدود وانكماش فى المساحة .

وهكذا اتسع مدلول كلمة أرمينية عند الجغرافيين والمؤرخين المسلمين ، فأصبح يضم كل البلاد الواقعة بين نهر الكر وبحر الخزر (بحر قزوين حالياً) بما فيها بلاد الكرج والران وجبال القوقاز إلى ممر دربند المعروف بباب الأبواب .

(١٧٤) اليعقوبى : كتاب البلدان ـــ نشر دى غويه ١٨٩١ ـــ ص ٣٣٦ .

على أية حال ، كانت أرمينية طوال تاريخها ضحية اقتتال أسدين ملاصقين لحدودها . ومما زاد الطين بلة تفتت أرمينية إلى ممالك صغيرة ، كثيراً ما دب الشقاق بين حكامها بواعز من الأعداء المتاخمين لحدودها . فجيران أرمينية الأقوياء من أباطرة وأكاسرة وخلفاء كثيراً ما كانوا يتحينون الفرص المواتية لتأليب أسرة على أخرى إضعافاً للإثنين ، وذلك تحقيقاً للمبدأ السياسى القائم على شعار « فرق تسد » . ولقد حرص المسلمون على تفريق كلمة الأرمن ، إلا أن هناك مثلاً يقول : « ليس الأرمن فى حاجة إلى من يفرق صفوفهم ، فهم أكثر أعداء من العدو ، حتى أنهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم »(١٧٥) . ويذكر كل من سيديو Sédillot وبازدرمدجيان Pasdermadjian أنه كان باستطاعة الأرمن صد جيوش الفاتحين المسلمين لو أنهم كانوا أكثر اتحاداً(١٧٦) .

وهكذا ، فى ظل عدم الاستقرار ، وانعدام وحدة الصف والهدف ، وتفرق الكلمة ، والسياسة المتلونة وفق المصلحة ، تأرجحت أرمينية منذ منتصف القرن السابع الميلادى بين السيادة البيزنطية والسيادة الإسلامية .

---

(١٧٥) Laurent, P. 102, n. 120; Brosset, Ruines D'Ani, P. 110.

(١٧٦) Sedillot, Histoire des Arabes, Paris, 1854, P. 113; Pasdermadjian, P. 143.

ملحق
عــن
الفتوحات الإسلامية لأرمينية

قبل إبرام اتفاقية السلام بين المسلمين والأرمن

(١٩ ــ ٣٣ هـ/ ٦٤٠ ــ ٦٥٣ م)

دراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر والمراجع

هدفت من إضافة هذا الملحق ، سد النقص الوارد فى رواية المؤرخ الأرمنى سبيوس ، خاصة فيما يتعلق بحملة المسلمين الأولى سنة ١٩ هـ /٦٤٠ م ، تلك الحملة الاستكشافية البالغة الأهمية ، والتى مهدت الطريق لإنجاح الحملة الثانية وما تلاها من حملات ، هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى ، إظهار التضارب فى التحديد التأريخى لحملات المسلمين فى كافة المصادر من إسلامية وأرمنية وسريانية وبيزنطية ، ومحاولة استخلاص الرأى الصائب ، وذلك بعد دراسة تحليلية نقدية مقارنة لكافة الروايات المعاصرة وغير المعاصرة ، محاولاً وضع الأحداث التاريخية فى مسارها الصحيح والدقيق .

وأتمنى من الله التوفيق فيما ذهبت إليه .

الفتوحات الإسلامية لأرمينية
قبل ابرام اتفاقية السلام بين المسلمين والأرمن
(١٩ ـ ٣٣ هـ/٦٤٠ ـ ٦٥٣ م)
دراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر والمراجع

ـ حملة المسلمين الاستكشافية سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م .

١ ـ المصادر الإسلامية :

(أ) البلاذرى .

(ب) الطبرى .

(حـ) ابن الأثير .

(د) ابن كثير .

٢ ـ المصادر الأرمنية :

(أ) جان باميكونيان .

(ب) تاريخ القديس نرسيس .

ـ دراسة تأريخية مقارنة للمصادر الإسلامية والأرمنية .

ـ معركة سراكين سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م .

ـ انتصار العرب على الجيوش البيزنطية بقيادة بروكوب .

ـ سقوط العاصمة الأرمنية دوين فى قبضة المسلمين يوم الجمعة ١٢ شوال سنة ١٩ هـ/٦ أكتوبر سنة ٦٤٠ م .

١ ـ المصادر الأرمنية :

(أ) جيفوند .

(ب) سبيوس .

(حـ) المؤرخ المجهول .

(د) كيراكوس الجندزاكى .

(هـ) صموئيل الآنى .

٢ ـ المصادر السريانية :

(أ) حولية ديونسيوس .

(ب) حولية ميخائيل السريانى .

٣ ــ المصادر الإسلامية :

(أ) البلاذرى .

(ب) الطبرى .

(حـ) اليعقوبى .

(د) ابن الأثير .

ــ سبب اختلاف المصادر الإسلامية فى رأى الطبرى .

ــ دراسة تأريخية مقارنة للمصادر الأرمنية والسريانية والإسلامية .

ــ استعادة بيزنطية لأرمينية سنة ٦٤٧ م /٢٧ هـ .

ــ إثارتها لمشاعر الأرمن الدينية ونتائج ذلك .

ــ سقوط قلعة أردزاب فى قبضة المسلمين يوم الأحد ١٦ محرم سنة ٣٠ هـ /٨ أغسطس سنة ٦٥٠ م .

(أ) رواية جيفوند .

(ب) رواية سبيوس .

ــ انتصار المسلمين على التحالف البيزنطى الأرمنى .

زودتنا المصادر الأرمنية وكذلك المصادر الإسلامية والبيزنطية والسريانية ، بمادة تاريخية على درجة كبيرة من الأهمية ، تتعلق بالفتوحات الإسلامية لأرمينية ، وأحوالها خلال السيادة الإسلامية عليها . ولكن التناقض شاب هذه المعلومات ، بل وظهر هذا الاختلاف واضحاً فى تأريخ هذه المصادر للفتوحات الإسلامية الأولى لأرمينية . لذا وجدت من الضرورى إبداء بعض الملاحظات الدقيقة ، مستنداً فى ذلك إلى عقد دراسة تحليلية نقدية مقارنة لبطون المصادر والمراجع العديدة المتنوعة .

وقد اتفقت المصادر الإسلامية والأرمنية على أنه بعد فتح بلاد الجزيرة ومنطقة آذربيجان الفارسية ، انطلقت الجيوش الإسلامية الظافرة لفتح أرمينية عن طريق الجنوب . ويبدو أن من أسباب فتح المسلمين لأرمينية ، وصولهم إلى حدودها من ناحية ، ولأهميتها الاستراتيجية لكونها على حدود الامبراطورية الإسلامية ومتاخمتها للامبراطورية البيزنطية من ناحية ثانية . فالاستيلاء على أرمينية بمثابة تأمين لبلاد الجزيرة والشام ، ونشر للدعوة الإسلامية وتأمين لها ضد جيران يتاخمونها ويناصبونها العداء خاصة بعد اشتراكهم فى موقعتى اليرموك والقادسية ، بل وتمهيداً للاستيلاء على بلاد الروم ، إذ أن المسلمين أدركوا بثاقب بصرهم وبصيرتهم أنها أفضل قاعدة يتخذونها فى حربهم المرتقبة ضد البيزنطيين . إذ أن أرمينية كانت بمثابة الدرع الواقى الذى يحمى ظهر دولة الروم ، ويعطيها عمقاً اقليمياً ، ويدفع عنها الأخطار . والاستيلاء على ذلك الدرع ، يسهل على المسلمين اقتطاع أوصال الامبراطورية البيزنطية ، واختراق أعماق قلبها ؛ لذا كان شغل المسلمين الشاغل هو سلخ أرمينية عن الامبراطورية البيزنطية ، وضمها إلى الخلافة الإسلامية الفتية .

على أية حال ، تسرد المصادر الإسلامية وقائع حملة المسلمين الأولى على هذا الصقع العظيم الواسع ، وذلك تحت أحداث عام ١٩ هـ (٦٤٠ م) . ويأتى البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) على رأس هذه المصادر ، إذ خصص فصلاً من كتاب « فتوح البلدان » تحدث فيه باسهاب عن « فتوح أرمينية »(١٧٧) ، فيقول إن :

« عياضاً فتح آمد بغير قتال على مثل صلح الرها(١٧٨) . وفتح ميافارقين على مثل ذلك وفتح حصن كفرتوثا . وفتح نصيبين بعد قتال على مثل صلح الرها . وفتح طور عبدين وحصن ماردين ودارا على مثل ذلك . وفتح قردى وبازبدى على مثل صلح نصيبين . وأتاه بطريق الزوزان فصالحه على أرضه على إتاوة ، كل ذلك فى سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين ثم سار إلى أرزن ففتحها على مثل صلح نصيبين ودخل الدرب فبلغ بدليس وجازها إلى خلاط فصالح بطريقها ، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية

(١٧٧) البلاذرى : فتوح البلدان ــ تحقيق صلاح المنجد ــ جـ ١ ، ص ٢٣١ ــ ٢٤٨ .

(١٧٨) كانت البنود فى الشروط التى يفرضها الفاتحون العرب على البلاد المفتوحة بعيدة عن الأجحاف ، وكانت أسهل بكثير من البنود المفروضة من قبل الروم . وهذا ما دفع العديد من المدن لفتح أبوابها للمسلمين ، إذ كانوا يفتحونها دون مقاومة كما يتضح من رواية البلاذرى هذه . كذلك رحب شعوب البلاد المفتوحة بالمسلمين ، لأنهم تركوا لهم حرية العقيدة والعبادة وممارسة الشعائر الدينية . وقد نصت معاهدات الصلح والأمان المبرمة بين العرب وكل من الأرمن وأهل تفليس على ذلك صراحة . أنظر نص كتاب حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها فى البلاذرى : فتوح البلدان ــ تحقيق صلاح المنجد ــ جـ ١ ، ص ٢٣٧ ، وكتاب حبيب بن مسلمة لأهل تفليس فى البلاذرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ــ مكتبة خياط ببيروت ــ جـ ٤ ، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣١ . وكذلك كتاب أمان سراقة بن عمر إلى الأرمن فى الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ ، ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٢٩ . وكتاب أمان بكير بن عبد الله إلى أهل موقان فى الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ .

فلم يعدها . ثم عاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط وجماجمها وما على بطريقها ثم أنه انصرف إلى الرقة ومضى إلى حمص وقد كان عمر ولاه اياها ، فمات سنة عشرين . وولى عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث إلا قليلا حتى مات . فولى عمر عمير ابن سعد الأنصارى ، ففتح عين الوردة(١٧٩) بعد قتال شديد »(١٨٠) .

هذا عن رواية البلاذرى ، أما الطبرى (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢ م) فقد زودنا فى كتابه « تاريخ الأمم والملوك » تحت أحداث عام ١٩ هـ (٦٤٠ م) برواية أخرى مختلفة فى أحداثها وشديدة الايجاز ، إذ قال :

« وجه عياض عثمان بن العاص إلى أرمينية الرابعة(١٨١) ، فكان عندها شئ من قتال أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمى شهيداً . ثم صالح أهلها

(١٧٩) فى ابن الأثير « ففتح رأس عين » . انظر الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ — جـ ٢ ، ص ٥٣٥ . ويقول ابن سعيد أن من مياه رأس عين ينزل نهر الخابور . أنظر كتاب الجغرافيا — تحقيق اسماعيل العربى — الجزائر ١٩٨٢ ، ص ١٧٢ . أما ابن جبير ، فقد زودنا بتفاصيل مطولة عن مدينة رأس العين (هكذا وردت فى مصنفه) قائلاً : « أما المدينة فللبداوة بها اعتناء ، وللحضارة عنها استغناء ، لا سور يحصنها ، ولا دور أنيقة البناء تحسنها ، وقد ضحيت (أى برزت) فى صحرائها كأنها عودة لبطائحها ، وهى مع ذلك كاملة مرافق المدن ، ولها جامعان حديث وقديم » . للتفاصيل أنظر رحلة ابن جبير — دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٩ — ص ٢١٧ — ٢١٩ .

(١٨٠) البلاذرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ . أنظر أيضاً :
Manandian, Les Invasions Arabes, P. 166.

(١٨١) قال اليعقوبى أن كور أرمينية الرابعة هى الران وجرزان والبسفرجان والسيسجان . أنظر تاريخ اليعقوبى — دار صادر بيروت ١٩٦٠ — جـ ١ ، ص ١٧٨ .

عثمان بن العاص على الجزية على كل أهل بيت دينار[١٨٢] » .

أما ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) ، كعادته ، نقل رواية الطبرى . إذ قال فى كتابه « الكامل فى التاريخ » تحت أحداث عام ١٩ هـ (٦٤٠ م) :

وجه عثمان بن العاص إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها ، فاستشهد صفوان بن المعطل ، وصالح أهلها عثمان على الجزية »[١٨٣] .

والجدير بالملاحظة أن ابن الأثير نقل رواية البلاذرى السابق ذكرها نقلا يكاد يكون حرفياً »[١٨٤] .

وأخيراً يأتى ابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م) ، فرغم ابتعاده زمنياً عن الأحداث ، إلا أنه زودنا بأسماء قادة المسلمين ، إذ أورد فى كتابه « البداية والنهاية » تحت أحداث سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) :

« ان عياض بن غنم سار وفى صحبته أبو موسى الأشعرى ، وعمر بـن سعيد بن أبى وقاص وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شيئاً ، وعثمان بن أبى العاص فنزل الرها فصالحه أهلها على الجزية ،

---

(١٨٢) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٩٧ . أنظر أيضاً :
Laurent, P. 581; Ghazarian, Armenien unter der Arabischen Herrschaft, P. 17; Manandian, P. 166.

(١٨٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٣٣ . والملاحظ أن ابن خلدون نقل عن ابن الأثير إذ قال : « بعث عثمان بن العاص إلى مدينة أرمينية ، فصالحوه على الجزية » . أنظر العبر ــ بيروت ١٩٥٧ ــ المجلد الثانى ، القسم الرابع ، حوادث سنة ١٩ هـ ، ص ٩٥٥ . أنظر أيضاً : Manandian, P. 166.

(١٨٤) قارن البلاذرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ مع ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٣٤ ــ ٥٣٥ .

وصالحت حران على ذلك . ثم بعث أبا موسى الأشعرى إلى نصيبين ، وعمير بن سعد إلى رأس العين ، وسار فيه إلى دارا فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبى العاص إلى أرمينية فكان عندها شئ من قتال ، قتل فيها صفوان بن المعطل السلمى شهيداً ، ثم صالحهم عثمان بن أبى العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار »(١٨٥) .

من هذا يتضح أن المصادر الإسلامية متضاربة فيما بينها فى تفاصيل أحداث حملة المسلمين الأولى على أرمينية ، ولكنها اتفقت على تأريخها تحت أحداث سنة ١٩ هـ . ويرجع سبب ذلك إلى أن مصادرنا عن الدولة العربية — كما سبق أن ذكرت — اعتمدت على الرواية الشفوية ، فلم يعرف العرب التدوين التاريخى حتى العصر العباسى(١٨٦) .

على أية حال ، لا ينبغى أن يغرب عن بالنا أن مؤرخى الأرمن يتحدثون عن فتوحات المسلمين فى منطقة الطارون(١٨٧) Tarawn

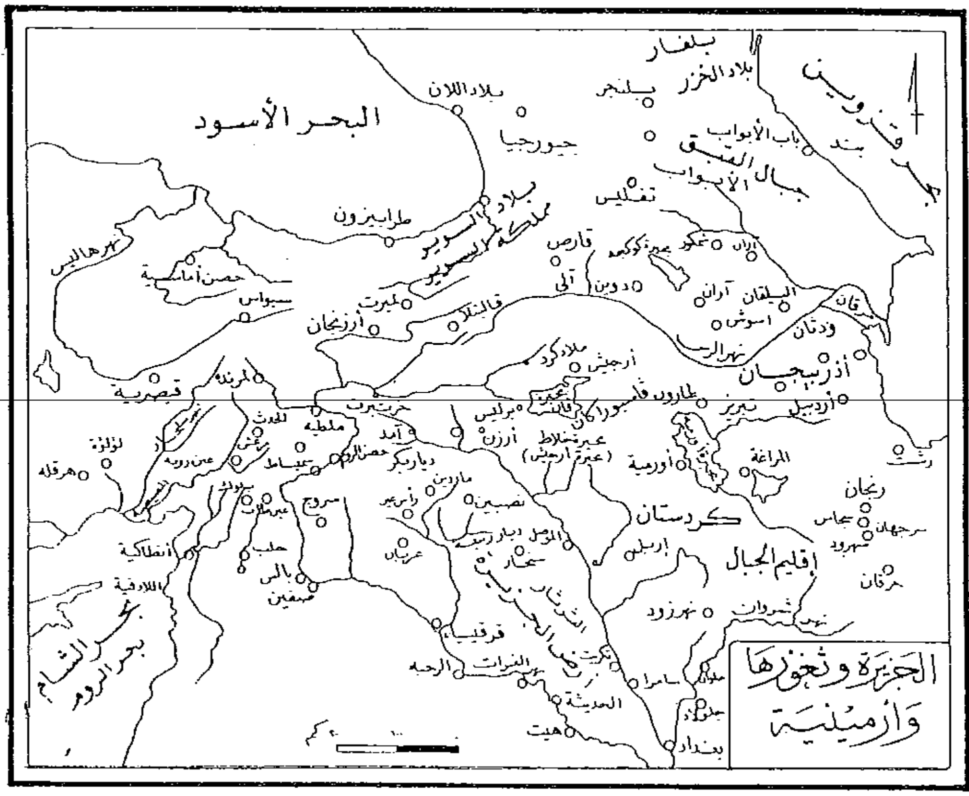
(١٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية — الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ — جـ ٧ ، ص ٨٥ . ولم يأت ابن خلدون بجديد ، فقد اكتفى بالقول تحت أحداث سنة ١٩ هـ : « بعث عثمان بن العاص إلى أرمينيا فصالحوه على الجزية » . انظر العبر — بيروت ١٩٥٧ — المجلد الثانى القسم الرابع ، ص ٩٥٥ .

(١٨٦) عبد المنعم ماجد : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى — القاهرة ١٩٧١ — ص ٣١ — ٣٢ .

(١٨٧) عن إقليم الطارون أنظر حاشية رقم ٥٠ . والجدير بالذكر أنه بحكم موقع الطارون الجغرافى ، تأثر فى عاداته ولغته ببلاد الشام أكثر من أرمينية . ونعلم أنه قبل انتشار الأبجدية الأرمنية على يد القديس مصروب Mesrob فى أوائل القرن الخامس الميلادى ، كان الأرمن يستخدمون اليونانية والسريانية . وظلت السريانية منتشرة فى بلاد الطارون ردحاً طويلاً من الزمن . ولم يستخدم الطارونيون الأرمنية إلا بعد انتشارها فى كافة الأقاليم الأرمنية الأخرى . (Zenob de Klag, P. 46, n. 1.) . وحظى الطارون باهتمام بيزنطة البالغ ، لقربه من حدودها ، ولكونه المفتاح إلى قلب الأراضى الأرمنية والطريق السهل لاجتياح الأراضى الإسلامية . أنظر :

Constantine Porphyrogentius, De Administrande Imperio, R.G. H. Jenkins, Budapest, 1949 Vol. I, Ch. 43, PP. 188-199; Vol. II, Commentary, PP. 159-160;

=



نقلا عن : د. ماجد والبنا : الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى

وأرمينية الشمالية ، فى حين أن المصادر الإسلامية تتحدث عن فتوحاتهم فى شمال بلاد الجزيرة وأرمينية الرابعة . ولكن من المحتمل أن الجيوش الإسلامية كانت قد أطلقت حملاتها على أرمينية من قواعد وأماكن متعددة وتحت قيادات قادة مختلفين ، فالمؤرخ الأرمنى المعاصر جان ماميكونيان(١٨٨) Jean Mamikonean يذكر فى مصنفه « تاريخ الطارون » Histoire de Tarawn أنه :

> فى نفس هذا العام ، أعلن هرقل الحرب على كسرى الثانى (٥٩٠ — ٦٢٨ م) وقتله(١٨٩) ... وبعد مضى ثمانية أعوام ، زحف عبد الرحيم ... على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفا من الفرسان ، وطالب الأرمن بدفع الجزية واجتاح هارك Hark وباسيان Basean وايبيريا Iberie وشافكسك Cavaxk (Djavakhk) وفاناند Vanand وبعد جمعه

= Agathange, Histoire du Règne de Tiridate, tr. Langlois, dans Collection. d'Historiens de l'Arménie, I, 173; Asolik, tr. Dulaurier, P. 97. cf. Adontz, Les Taronites en Arménie et à Byzance, dans Byzantion, t. IX, fasc. 2 (1934), PP. 718-721; Laurent, L'Arménie entre Byzance et l'Islam, Paris, 1919, P. 22.

(١٨٨) ذيل جان ماميكونيان على تاريخ الطارون لزينوب الكلاجى Zenob de Klag ، وواصل سرده التاريخى حتى عام ٦٤٠ م/١٩ هـ . أنظر :
Zénob de Klag, Histoire de Darôn-Introduction, P. 6.

(١٨٩) أخطأ جون ماميكونيان حين ذكر أن هرقل قتل كسرى الثانى . فالمعروف أن الشعب الفارسى استاء من حكمه ، بسبب فشله فى الحرب مع البيزنطيين ، فحيكت مؤامرة ضده انتهت بقتله وتنصيب ابنه قباذ شيرويه ملكاً على العرش الفارسى . فكتب قباذ إلى هرقل يعرض عليه الصلح ، فصالحه . وبذلك عادت كل من مصرا وبلاد الشام وفلسطين وشمال بلاد النهرين وأرمينية إلى سيادة الامبراطورية البيزنطية . أنظر نعيم فرح : تاريخ بيزنطة ، ص ٢٠٩ ، وسام عبد العزيز فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية — الاسكندرية ١٩٨٢ — جـ ١ ، ص ١٥٥ .

الجزية من هذه الأقاليم ، عاد ثانية إلى طشقستان Tackastan [أى بلاد الشام] »[١٩٠] .

هذا ما زودنا به المصدر الأرمنى الأول والذى أنهى سرده التاريخى بأحداث سنة ٦٤٠ م/١٩ هـ . أما الرواية الأرمنية الثانية عن حملة المسلمين الأولى على أرمينية ، فقد وردت فى كتاب « تاريخ القديس نرسيس » Histoire de Saint Nersés لمؤرخ أرمنى مجهول ، إذ جاء فى هذا المصدر :

« أن هرقل ، ملك الروم ، فى العام الثمانين من التقويم الأرمنى ، خاض حرباً ضد كسرى الثانى (٥٩٠ — ٦٢٨ م) ملك الفرس وقتله[١٩١] . وبعد مضى ثمانى سنوات على هذا الحادث ، زحف عبد الرحيم ... على أرمينية وبصحبته جيش قوامه ثمانية عشر ألف جندى ، ليطلب من الأرمن دفع الجزية ، وليقيم المذابح للجيوش الأرمنية فى اقليم الطارون Tarawn . فاجتاح هارك وباسيان وايبيريا وشافكسك وفاناند . وبعد جمعه الجزية من هذه الأقاليم ، عاد ثانية إلى طشقستان [أى بلاد الشام][١٩٢] .

(١٩٠) Jean Mamikonean, Histoire de Tarawn, Venise 1832, PP. 57-58. ولقد اعتاد مؤرخو الأرمن اطلاق اسم طشقستان على بلاد الشام . أنظر : Aristakès, tr. Canard, ch. IX, P. 34 et n. 2; ch. IX, P. 49, n. 1.

(١٩١) من الواضح أن المصدر الثانى انزلق إلى نفس خطأ المصدر الأول . راجع حاشية رقم ١٨٩ .

(١٩٢) Histoire de Saint Nersis et de l'nvention de ses reliques, Sop'erk' Hayk'akank', t. VII, Venise, 1853, PP. 43-44.

وبدراسة تحليلية للروايتين الأرمنيتين(١٩٣) ، يتضح لنا تقاربهما تقارباً ملحوظاً . فربما يكون المصدر الثانى قد نقل عن تاريخ جان ماميكونيان ، لكن من المحتمل أيضاً أن يكون المصدران قد نقلا عن مصدر ثالث مفقود إلى الآن .

على أية حال ، يؤخذ على المصدر الأرمنى الثانى قوله أن هرقل قتل كسرى الثانى ابرويز (أى المظفر) « فى العام الثمانين من التقويم الأرمنى » ، علماً بأن كسرى الثانى أغتيل بأمر من قباد الملقب بشيرويه فى ٢٥ فبراير سنة ٦٢٨ م(١٩٤) [١٦ ربيع الأول سنة ٧ هـ] ، أى فى العام السادس والسبعين من التقويم الأرمنى (= ٢٣ يونيو ٦٢٧ م — ٢٢ يونيو ٦٢٨ م) . ولكن هذا الخطأ غير ذى أهمية بالنسبة لتأريخنا لحملات المسلمين على أرمينية . والذى يهمنا فى هذا الصدد أنه تم ادراج هذه الحملة الإسلامية فى العام الثامن والثمانين من التقويم الأرمنى .

واستناداً إلى الروايتين ، افترض فريق من المؤرخين أن الحملة الإسلامية الأولى على أرمينية حدثت فى عام ٦٣٦ م(١٩٥) . أما الفريق الثانى ، فقد افترض عام ٦٣٩ م(١٩٦) .

(١٩٣) هناك رواية أرمينية ثالثة أوردها أسوليك (توفى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى) لم تأت بجديد . إذ يقول أسوليك « فى عهد ثيودوروس رشتونى Théodoros Rstuni وفى عام ٨٦ من التقويم الأرمنى ، قام المسلمون بحملتهم الأولى على أرمينية ، تنفيذاً لأوامر عمر بن الخطاب » . أنظر : Asolik, Histoire Universelle éd Pathanean, St. Petersbourg, 1885, P. 98.

(١٩٤) للتفاصيل أنظر طه باقر : تاريخ ايران القديم ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(١٩٥) من أنصار الفريق الأول تشامتشيان وباسمدجيان . أنظر : Tchamtchian, Histoire d'Arménie, Venise, 1785, t. II, P. 342; Basmacean, Histoire d'Arménie, Constantinople, 1919, P. 295.

(١٩٦) من مؤيدى الرأى الثانى ديلريه وتورنبيز وكيفرك أرسلان ومورجان أنظر : Dulaurier, Recherches sur la Chronologie Arménienne, Paris, 1895, P. 225; Tournebize, Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris, 1900, P. 96;

فإذا رجعنا إلى الفريق الأول نجد أن افتراضه مبنى على أن كسرى قتل سنة ٦٢٨ م ، وأن حملة عبد الرحيم وقعت بعد ذلك بثمانى سنوات (٦٢٨ + ٨ = ٦٣٦ م) ، إذن على هذا الأساس . حدد الفريق الأول تاريخ هذه الحملة بعام ٦٣٦ م .

أما الفريق الثانى ، فقد أستند إلى المصدر الأرمنى الثانى ــ « تاريخ القديس نرسيس » لمؤرخ مجهول ــ والذى ينص صراحة على أن حملة المسلمين الأولى كانت فى العام الثامن والثمانين من التقويم الأرمنى . علماً بأن التقويم الأرمنى يبدأ بسنة ٥٥١ ميلادية ، إذن يفترضون سنة (٥٥١ + ٨٨ = ٦٣٩ م) كتاريخ للحملة .

ولكن بدراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر الإسلامية ، ومقابلتها بالمصادر الأرمنية ، يتضح أن الخطأ كان حليف الفريقين إذ أن الرأى الصحيح للتحديد التاريخى لحملة المسلمين الأولى على أرمينية هو سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) فالطبرى وابن الأثير ــ الذى نقل عنه ــ يسردان أخبار هذه الحملة تحت عام ١٩ هـ(١٩٧) (أى ٦٤٠ م) ، فعام ١٩ هـ ينتهى فى ٢٠ ديسمبر من سنة ٦٤٠ م . وإذا انتقلنا إلى رواية البلاذرى ، نلاحظ أنه أدرجها « فى سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين »(١٩٨) ، أى سنة ٦٤٠ م وحتى منتصف يناير من عام ٦٤١ م . فشهر محرم من عام ٢٠ هـ بدأ فى ٢١ ديسمبر سنة ٦٤٠ م .

ويؤكد صحة ما ذهبنا إليه ، ورفض رأى الفريقين السابقين أن المسلمين لم يكن باستطاعتهم اجتياح أرمينية قبل فتحهم الفرات الأعلى

Kévork Aslan, Etudes Historiques sur le Peuple Arménien, Paris, 1909, P. 275;
Morgan, Histoire du Peuple Arménien Paris, 1919, P. 115.

(١٩٧) أنظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ١٩٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٣٣ .

(١٩٨) البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

ومدنه الرئيسية . واستناداً إلى المصادر الإسلامية والسريانية والبيزنطية ، فإن فتح بلاد الجزيرة(١٩٩) قد تم فى سنتى ٦٣٩ ـــ ٦٤٠ م (١٨ ـــ ١٩ هـ) . وتأكيداً لصحة هذا الرأى نلاحظ أيضاً أن المؤرخ ميخائيل السريانى Michel le Syrien ذكر صراحة أن المسلمين عبروا نهر الفرات للمرة الأولى ، وتقدموا نحو الشمال وذلك فى عام ٩٥١ من التقويم البيزنطى ، التاسع والعشرين من حكم هرقل ، الثامن عشر الهجرى ، والسادس من حكم عمر »(٢٠٠) ، أى فى سنتى ٦٣٩ ـــ ٦٤٠ م .

وبذلك نستطيع أن نؤكد أن المسلمين تسللوا للمرة الأولى إلى أرمينية سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) عن طريق الجنوب ، وذلك بعد فتحهم لشمال بلاد الجزيرة كما ذكرت ذلك صراحة المصادر الإسلامية والأرمنية والسريانية . وبناء على هذا ، فإن تأريخ هذه الحملة بسنة ٦٣٦ م أو ٦٣٧ م أو ٦٣٩ م ـــ كما يعتقد غالبية المؤرخين المحدثين ـــ لا أساس له من الصحة . كذلك أخطأت بعض المراجع حين قالت ـــ بدافع الحقد والتعصب الأعمى ـــ أن هذه الحملة تميزت بطابع السلب والنهب ، ولم يكن لها سمات الحملة المنظمة(٢٠١) ، والحقيقة أنها كانت بمثابة حملة استطلاعية ، مهدت الطريق أمام حملات المسلمين التالية . ويبدو أن من عادة المسلمين وتكتيكاتهم الحربية الانسحاب عقب هجماتهم الأولى ، إذ أن استراتيجيتهم الحربية كانت تتطلب دائماً إرسال حملات استطلاعية ، هدفها استكشاف مسالك البلاد ومعرفة أحوالها ، وجس نبض امكاناتها القتالية لاعداد

(١٩٩) وصف الطبرى فتح الجزيرة قائلاً : « انها كانت أسهل البلدان أمراً وأيسرها فتحاً » . للتفاصيل عن الفتوحات الإسلامية أنظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ٣٢ ـــ ١٦٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢٠٠) Michel le Syrien, Chronique, éd, Chabot, t. II, P. 426.

(٢٠١) Kastra Salia, Histoire de la Nation Géorgienne, Paris, 1980, P. 131.

الجيش اللازم لخوض غمار الجولات التالية . وهذا ما حدث فعلاً ، إذ تمكن المسلمون بفضل هذه الحملة الاستطلاعية من فتح العاصمة الأرمنية دوين[٢٠٢] Dwin وذلك يوم الجمعة ١٢ شوال سنة ١٩ هـ (٦ أكتوبر سنة ٦٤٠ م) .

ويبدو أن سبب اغفال كل من سبيوس وجيفوند ذكر تفاصيل حملة المسلمين الأولى على أرمينية ، راجع إلى كونها حملة استطلاعية ، انتهت بعودة المسلمين إلى ديارهم ليعدوا الخطة لفتح العاصمة الأرمنية دوين Dwin كما سبق أن أوضحنا . وهذا ما استهل به جيفوند فصله الثانى ، إذ قال أنه بعد فتح فارس ، زحفت الجيوش الإسلامية الظافرة على

---

(٢٠٢) قال ابن حوقل : « دوين مدينة كبيرة كثيرة الخيرات والبساتين والفواكه والزروع وعليها سور من طين ، وفيها عيون ومياه جارية ، والغالب على زروعهم الأرز والقطن ... » (أنظر صورة الأرض — بيروت ١٩٧٩ — ص ٢٩٠) أما صاحب تقويم البلدان فقال : « قال ياقوت فى المشترك ودوين بلدة من نواحى أرمينية بقرب تفليس ، وإليها ينسب الملوك بنو أيوب . قال فى اللباب أنها من أذربيجان والظاهر أنها من أرمينية حسبما ذكره ياقوت » (أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٩٨ — ٣٩٩) . أما البغدادى فقال : « دوين بالفتح ، ثم الكسر ، وياء مثناة من تحت ساكنة ، ونون : بلدة من نواحى أران ، فى آخر حدود أذربيجان ، بقرب تفليس » (أنظر مراصد الاطلاع ، جـ ٢ ، ص ٥٥٤) . والجدير بالذكر أن دوين كانت على رأس المدن التى يضرب فيها الدرهم الفضى ، وحدة التعامل التجارى مع العراق وفارس آنذاك (أنظر ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٢٩٩) . كذلك كانت من أهم المدن التجارية والصناعية إذ كانت مركزاً لتبادل التجارة الآتية من بلاد الروم وفارس والهند وايبيريا . (أنظر: Manandian, Trade and Cities, P. 152; Laurent, L'Arménie entre Byzance et L'Islam, Lisbonne 1980, P. 81; Canard, L'Arménie et le Califat Arabe de Ter-Levondyan, dans R.E.A., C.R., t. XIII, (Paris, 1978-1979, P. 401) وقد اتخذ الولاة المسلمون مدينة دوين مقراً لحكم أرمينية ، فكان من نتيجة ذلك تأثر سكانها الأرمن بالعادات والتقاليد والأخلاق الإسلامية (أنظر : Grousset, Op. Cit., P. 402. (ولمزيد من التفاصيل أنظر :

Zenob de Klag, Histoire de Darôn, PP. 24 et 41; Moïse de Khoren, III, Ch. VIII, P. 261; Constantine Porphyrogenitus, Vol. II, Commentary, P. 168. Cf. Saint-Martin, Mémoires, t. I; P. 119; Indjidj, l'Aeménie Ancienne, P. 463, Minorsky, le nom de Dvin en Arménie, PP. 1-11.

أرمينية(٢٠٣) ، فسقطت فى قبضتهم القرى التى يسكنها المار(٢٠٤) Mar واقليم جوجثن(٢٠٥) (فى سيونى) Goghthen ومدينة نقجوان(٢٠٦) Nakhitshevan . وأقام المسلمون المذابح الهائلة لسكان هذه الأقاليم ، واصطحبوا البقية الباقية بنسائهم وأطفالهم أسرى حرب . ثم عبر

---

(٢٠٣) كان لموقع أرمينية وجغرافيتها وطبوغرافيتها أثره البالغ على تاريخها . إذ كانت بمثابة قلعة داخلية وسداً حاجزاً بين الخلافة الإسلامية الفتية والامبراطورية البيزنطية العريقة . لذا ، كانت هدف الاقتتال بين الأسدين ، ولكنها صمدت بفضل وعورة جبالها وحنكة ساستها . فحفاظاً على كيانها القومى ، اضطرت أرمينية فى بعض الأحيان أن تميل إلى جانب من الأعداء ، ثم تنصرف عنه إلى الجانب الآخر ، كما كانت فى بعض الأحوال تكافح وتقاتل الطرفين المتصارعين فى آن واحد . ولا شك أن هذه السياسة المتلونة حسب المصلحة ، كانت تتعارض مع مبدأ التوازن ، ولا شك أنها كانت محفوفة بالأخطار ، وكان من نتيجتها أن كسبت أرمينية حقد المسلمين والبيزنطيين ، فهى لا مع هؤلاء ولا مع أولئك ولكن مع مصلحتها فقط .

(٢٠٤) المار Mar من سلالة الميديين Mèdes القدامى أى سكان إقليم الجبال فى المصادر الإسلامية . نقلوا إلى أرمينية على يد العاهل الأرمنى تيجران الأول Tigrane I ، وكان عددهم آنذاك عشرة آلاف نسمة ، وذلك بعد أن تمكن الملك الفارسى كورش الثانى (٥٥٨ — ٥٣٠ ق . م) من احتلال بلاد ميديا سنة ٥٥٠ ق . م . عقب نجاح ثورته على الملك الميدى استياجز ابن الملك كباخسار . للتفاصيل أنظر : Moise de Khoréne, I, 1er, Ch. XXX.
أنظر أيضاً طه باقر : المرجع السابق ، ص ٤٧ — ٤٨ . والجدير بالذكر أن بعض المؤرخين أطلقوا على الفاسبوراكان اسم ميديا Médie وقد ورد ذكرها على هذا الشكل فى مصنف زنوراس . Zonoras, Epitomae Historiarum, éd. T. Buttner-Wobst, in CSHB (Bonn, 1839), P. 636.

(٢٠٥) جوجثن Goghthen مهد الشعر الأرمنى . وهو اقليم على درجة كبيرة من الأهمية إلى يومنا هذا ، إذ يشتهر بالنبيد والفاكهة والحرير ، بل أنه من أهم المراكز التجارية . ويقع حالياً فى جمهورية أرمينية . أنظر : Ghévond, Ch. II, P. 5, n. 2. ويقع فى الفاسبوراكان شمال بحيرة أورمية ، على الضفة اليسرى لنهر الرس ، ويشتهر أيضاً بأغانيه الشعبية التى ترجع إلى عصر انتشار اليهودية فى أرمينية : أنظر : Asolik, P. 53. Cf. Laurent, P. 42.

(٢٠٦) نقجوان أقدم مدينة ، ليس فقط فى أرمينية ، بل قيل أيضاً فى العالم أجمع . يقال أن مؤسسها هو سيدنا نوح عليه السلام وبها مقبرته . لذا ، يبجلها كل من الأرمن والمسلمين . وانظر : Ghévond, Ch. II, P. 5, n. 3. وقد وردت فى المصادر الإسلامية على شكل نشوى . ويذكر ابن سعيد المغربى أن نقجوان تقع شمالى نهر الكر ، وهى من المدن المذكورة فى شرق أران . وفى شرقيها وشماليها مدينة الباب ، قاعدة سلطنة الباب . للتفاصيل أنظر : كتاب الجغرافيا تحقيق اسماعيل العربى — الجزائر ١٩٨٢ ، ص ١٨٩ . وكذلك :
Saint-Martin, Mémoires, t. I, P. 131-132; Laurent, P. 42.

المسلمون نهر الرس[٢٠٧] Araxe عن طريق مخاضة جولا[٢٠٨] Jula (Djougha) ، وبعد نجاحهم فى عبوره انقسم جيش المسلمين إلى قسمين ، كلف القسم الأول منه باقتياد الأسرى إلى دار الاسلام ، أما القسم الثانى ، فقد واصل زحفه مكتسحاً اقليم أرتاز[٢٠٩] Artaz ، هادفاً من ذلك لقاء القائد البيزنطى بروكوب Procope ، والذى كان قد أقام معسكره فى اقليم كوجوفيت[٢١٠] Kogovit وبمجرد علم ثيودور الرشتونى[٢١١] Théodoros Rstunis بأخبار حملة المسلمين هذه ، سارع بأخبار بروكوب بذلك . لكن القائد البيزنطى لم يتأثر

(٢٠٧) تحدث ابن حوقل عن نهر الرس فقال : « نهر الرس نهر عذب خفيف طيب ، يخرج من نواحى أرمينية الداخلة حتى ينتهى إلى باب ورثان ، ثم يمر فيقع بعضه فى الكر وبعضه فى بحيرة طبرستان . وهو الرس الذى ذكر الله ما فعله بقومه ، وهو إذا تأمله المتمكن منه ومر على جانبيه من مدينة ورثان صاعداً ونازلاً رأى عليه آثار مدن قد قلبت وخسفت وهور بعضها وقلب أعاليها أسافلها وهى فى أقبح مرأى ومنظرا تصديقا لقوله «وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا» القرآن الكريم: سورة الفرقان (٢٥) الآية ٤٠ .

للتفاصيل عن نهر الرس أنظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩٦ ، الأصطخرى : مسالك الممالك ، ليدن ١٩٢٧ ، ص ١٨٩ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ليدن ١٩٠٦ ، ص ٢٣ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٩٥ ، ابن رستة : كتاب الأعلاق النفسية ، ليدن ١٨٩١ ، ص ٨٩ — ٩٠ ، اليعقوبى : كتاب البلدان ٣٦٣ — ٣٦٤ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٥٩ — ٦٠ ، ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ، ص ١٨٨ . وقد ورد فى بعض المصادر الإسلامية تحت اسم « نهر أرس » أنظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٨٥ ، جـ ٥ ، ص ١٤١ ، ٢٦٢ ، جـ ٨ ، ص ٣٥٠ ، جـ ١٠ ، ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٦٧ ، العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ — أحداث سنة ٤٥٦ هـ ، ورقة ٢١٠ . أما ابن الجوزى فيسميه « نهر الترس » وذلك عند حديثه عن استيلاء الب أرسلان على آنى . أنظر مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان — مخطوط بدار الكتب المصرية . رقم ٩٢٧٦ ح — جـ ٩ ، أحداث سنة ٤٥٦ هـ ، ورقة ٢٨٢ . ويسمى فى المصادر والمراجع الأجنبية باسم نهر أراكس Araxe .

(٢٠٨) جولا Jula أو دجها Djougha مدينة أشتهرت منذ قديم الزمان بازدهارها التجارى والصناعى . دمرها بكاملها شاه عباس الكبير ، وذلك فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى (القرن العاشر الهجرى) . للتفاصيل أنظر : Ghévond, Ch. II, P. 5, n. 4.

(٢٠٩) يقع اقليم أرتاز Artaz شمال شرق بحيرة فان Van أنظر : Laurent, PP. 42, 117, n. 122.

(٢١٠) عن اقليم كوجوفيت Kogovit أنظر حاشية رقم ٥٤ .

(٢١١) عن الأمير ثيودور الرشتونى أنظر حاشية رقم ٥٠ .

اطلاقاً بهذا الخبر ، ولم يعره أى اهتمام ، معتمداً فى ذلك على ضخامة اعداد جيوشه أكثر من اعتماده على الله كما يقول جيفوند(٢١٢) . حينئذ ، ضاق صدر ثيودور من عدم اكتراث وغطرسة بروكوب ، فتقدم إليه للمرة الثانية ثم للمرة الثالثة ليحثه على سرعة التحرك ومواجهة الأخطار المحدقة بأرمينية . لكنه لم يتأثر بهذه التحذيرات ، بل اشتاط غضباً وقذف ثيودور بعصا كان يمسكها بيده . فاغتاظ ثيودور من وهن بروكوب ، وأسرع بحشد جيوشه التى كانت تحت امرته ، وصاح فيها : « هيا على السلاح ! سنزحف بمفردنا لقتال الاسماعيلية [أى العرب] » . وفى الحال ، امتطى الجنود الأرمن صهوات خيولهم ، وبوصولهم إلى سراكين Sérakèn تكمنوا وراء تل يسمى البارك Elbark ونجحوا فى سد ممرات الجبال ، بل وقتلوا أعداداً كبيرة من جيش المسلمين(٢١٣) . ثم توجهوا إلى اقليم جارنى(٢١٤) Carni محملين بالغنائم الطائلة .

وعقب هذا الانتصار الذى أحرزه الأرمن ، أصدر بروكوب أمره إلى الجيش البيزنطى لخوض غمار الحرب ضد المسلمين . لكن أتت الرياح بما لا تشتهى السفن . ففى أول اقتتال ، فقد الجيش البيزنطى أكثر من نصفه بين قتيل وجريح ، وهربت البقية الباقية منه من ساحة الوغى . أما المسلمون الظافرون ، فقد انسحبوا إلى معسكرهم للراحة والاسترخاء . ويذكر جيفوند أن الجيش البيزنطى بلغ تعداده أكثر من ستين ألف جندى ، فى حين لم يتعد جيش المسلمين العشرة آلاف فقط . ويواصل حديثه قائلاً إنه فى اليوم التالى ، قام المسلمون بنهب معسكر الجيش البيزنطى ، وانسحبوا ثانية

(٢١٢) Ghévond, Ch. II, P. 5.

(٢١٣) Ghévond, Ch. II, P. 6; Sébêos, Ch. XXXI, P. 101, Cf. Grousset, P. 296.

(٢١٤) يقع اقليم جارنى Garni فى شمال شرق مدينة يرفان Erivan فى جمهورية أرمينية . ولازال هذا الاقليم يحمل هذا الاسم إلى الآن. أنظر: Ghévond, Ch. II, P.6, n. I. Cf. Laurent, P.44.

إلى بلادهم . واختتم حديثه بالقول أن هذه الحملة حدثت سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ ـــ ٦٤٣ م) ، وبعدها ساد السلام ربوع أرمينية لفترة قاربت على الثلاثة أعوام . ولكن فى سنة ٦٣٧ م (٢٧ ـــ ٢٨ هـ) ، قام المسلمون بحملة جديدة ضخمة على أرمينية(٢١٥) . وبذلك اختتم جيفوند فصله الثانى(٢١٦) ليستهل الفصل الثالث بسرد أحداث الحملة التالية .

وقد انفرد جيفوند بتزويدنا بتفاصيل مطولة عن هذه الحملة فاقت فى سردها رواية سبيوس المعاصر . فمن المحتمل أن يكون جيفوند نقل أحداثه عن مصدر معاصر لم يصل إلى أيدينا بعد . ولكن يؤخذ عليه تهاونه فى التأريخ الدقيق للأحداث ، بل والخلط فى ترتيبها . فقد سبقت هذه الحملة ـــ إذا أخذنا بصحة رواية سبيوس ـــ سقوط دوين سنة ٦٤٠ م /١٩ هـ . وهذا ما تحدث عنه جيفوند فى فصله الثالث بدلاً من الحديث عنه فى فصله الثانى قبل الحملة السابق ذكرها . لكن المؤرخ جروسيه(٢١٧) Grousset أدرج هذه الحملة حوالى سنة ٦٤٠ م /١٩ هـ ، قبل سقوط دوين . وبذلك يكون جيفوند على صواب فى ترتيبه التاريخى للأحداث ، وهذا ما نحبذه . ولكن قبل الانتقال إلى الفصل الثالث ينبغى الاشارة إلى أن جيفوند فاحت فى فصله الثانى رائحة عدائه للبيزنطيين ، وانحيازه الواضح إلى جانب ثيودور والأرمن ، ومبالغته فى اظهار شجاعة القائد الأرمنى واظهاره

(٢١٥) Ghévond, Ch. II, P. 6. Vardan, P. 83. Théophane, Chronographia, P. 344.

(٢١٦) الجدير بالملاحظة أن جيفوند انفرد بتزويدنا بسرد مطول فاق سرد سبيوس الذى كان جيفوند ينقل عنه ، بل فاق فى سرده التاريخى كل المصادر الأخرى من أرمنية واسلامية وبيزنطية وسريانية . وربما نقل جيفوند هذه الأحداث عن مصدر أرمنى آخر معاصر للأحداث لم نعثر عليه إلى الآن . على أية حال ، انقض أسوليك على روايته انقضاضاً ولخصها لنا تلخيصاً شديداً . كذلك فعل المؤرخ الأرمنى فردان . أنظر :

Asolik, Histoire Universelle, tr. Dulaurier, P. 15; Vardan, P. 83.

وقارنهما مع : Ghévond, Ch. II, PP. 5-6.

(٢١٧) Grousset, Histoire de l'Arménie, P. 296.

لتكبر وتهاون القائد البيزنطى بروكوب ، بل وصلت به الأمور إلى شماتته وفرحه البالغ لهزيمة البيزنطيين أمام المسلمين . وليس هذا بغريب ، فقد كان الأرمن يفضلون المسلمين على البيزنطيين ، بسبب محاولة أباطرة الروم فرض مذهبهم الدينى بالقوة على الشعب الأرمنى[٢١٨] . ففى المجمع الدينى الذى ، عقد فى دوين سنة ٦٤٨ م (٢٨ هـ) ، رفض الأرمن مقررات مجمع خلقيدونية المسكونى سنة ٤٥١ م[٢١٩] ، وأصروا على أن للمسيح طبيعة واحدة ، ورفضوا مبدأ الطبيعة الثنائية . وبذلك كان الأرمن — شأنهم شأن مسيحيى مصر والشام وفلسطين — كما أوضحنا من قبل — يؤمنون بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح ، واعتبروا الاسلام أقرب إلى تعاليمهم الدينية من تعاليم مجمع خلقيدونية المسكونى .

هكذا كانت سياسة بيزنطة قصيرة النظر واتسمت بالعناد والغطرسة والتهور . فبدلاً من كسب قلوب الأرمن إلى صفوف الامبراطورية البيزنطية لمواجهة الفتوحات الإسلامية ، كسبت حقدهم بإثارة المشاكل الدينية ، وبالتالى ارتمى الأرمن فى أحضان المسلمين المتسامحين كما أوضحنا من قبل .

---

(٢١٨) ذكر سبيوس — المؤرخ الأرمنى المعاصر — أن الامبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى بذل قصارى جهده لفرض مذهب كنيسة القسطنطينية على الأرمن . فانعقد مجمع دوين المسكونى السادس سنة ٦٤٨ م /٢٨ هـ برئاسة الكاثوليكوس (البطريرك الأرمنى) نرسيس الثالث والأمير ثيودور الرشتونى . وحضره أيضاً كل الأساقفة والاشراف . وفى هذا المجمع الدينى ، اتفقت كلمة الأرمن — كما اتفقت من قبل فى مجمع خلقيدونية المسكونى سنة ٤٥١ م — على رفض مذهب الطبيعة الثنائية للمسيح ، والتمسك بمذهب الطبيعة الواحدة . للتفاصيل أنظر :
Sébēos, Ch. XXXIII, PP. 112-120; Jean Catholicos, P. 75. Cf. Ghazarian, Armenien unter der arabischen Herrschaft, Marburg, 1903, P. 30; Tournebize, Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, P. 352; Cahen, l'Islam et la Croisade, dans Orient Latin, Art. D, P. 631.

(٢١٩) عن مجمع خلقيدونية المسكونى سنة ٤٥١ م ، انظر نعيم فرح : تاريخ بيزنطة — دمشق ١٩٧٨ — ص ٨٩ . أنظر أيضاً : Laurent, P. 343, n. 1; C.M.H., IV, I, P. 79, n. 3.

على أية حال ، استهل جيفوند فصله الثالث وعنوانه « حملتا المسلمين الثانية والثالثة » بالقول أنه فى العام الثانى من حكم الامبراطور البيزنطى قنسطنز . ثم اخطار ثيودور بأن المسلمين يعدون العدة لهجوم جديد على أرمينية . فأسرع العاهل الأرمنى على رأس جيشه باحتلال ممرات دزورايا(٢٢٠) Dzoraya . ومع ذلك فشل ثيودور فى الصمود فى وجه المارد العربى . وهنا ، لم يستطع جيفوند كبح جماح اعجابه بالجيش الإسلامى وخفة حركته ، فنجده يشبهه بتعبير خيالى بليغ يتمشى مع مجريات الأحداث التالية ، إذ يقول :

« ان العدو تسلل إلى أعماق البلاد فى خفة حية طائرة ، مخلفاً وراءه الجيوش الأرمنية ، وبذلك تمكن من الوصول إلى دوين »(٢٢١) .

ويواصل جيفوند سرده قائلاً ان المسلمين وجدوا العاصمة الأرمنية تغط بالنساء والأطفال وأشخاص لا علم لهم بفنون الحرب والقتال . ويرجع سبب ذلك ، ان ثيودور كان قد حشد كل من يجيد حمل السلاح لدرء الأخطار المحدقة بربوع بلاده . وما لبث المسلمون أن أحاطوا بالمدينة احاطة الدائرة بمعصم اليد ، وانتهى الأمر بسقوط العاصمة دوين فى قبضتهم ، فقتلوا من بها من رجال ، أما النساء والأطفال البالغ عددهم خمسة وثلاثين ألفاً ، فقد تم أسرهم(٢٢٢) .

وبعد هذه الهزيمة الساحقة ، لم يستطع ثيودور الرشتونى واشراف الأرمن وأتباعهم من الجنود الصمود فى وجه الجيوش الإسلامية الظافرة خاصة بعد أن اضمحلت أعداد الجيش الأرمنى(٢٢٣) . فلم يكن

(٢٢٠) فى سبيوس دزور Dzor وليس دزورايا Sébēos, P. 100. Dzoraya ودزور وادى وممر ضيق وسط الجبال . أنظر : Ghévond, Ch. III, P. 7, n. 2.

(٢٢١) Ghévond, Ch. III, P. 7, Cf. Grousset, P. 296.

(٢٢٢) Ghévond, Ch. III, P. 7-8; Vardan, P. 83.

(٢٢٣) الأرمنى وليس الأرمينى ، عن ذلك أنظر حاشية رقم ١٦٢ .

أمامهم ـــ كما يقول جيفوند ـــ الا الحزن والأسى على الضحايا والأسرى من النساء والأطفال . وانتهت هذه الحملة بأن قاد المسلمون الظافرون الأسرى الأرمن إلى بلاد الشام . ونعمت البلاد خلال العشر سنوات التالية بالسلام ، إذ لم يفكر المسلمون آنذاك فى اقلاق سلام وأمان أرمينية(٢٢٤) .

ونظراً لأهمية سقوط العاصمة الأرمنية دوين فى قبضة المسلمين ، وجدنا من المفيد حقاً عقد دراسة مقارنة لمختلف النصوص من أرمينية وإسلامية وسريانية .

ونلاحظ هنا أيضاً تضارب آراء المصادر والمراجع فى التحديد التاريخى لفتح المسلمين للعاصمة الأرمنية دوين . ويمكن تقسيم هذه الآراء إلى ثلاثة :

الرأى الأول ، وهو الرأى الصحيح ، القائل أن سقوط دوين حدث يوم الجمعة السادس من أكتوبر سنة ٦٤٠ م (١٢ شوال سنة ١٩ هـ) حدد هذا التاريخ الصحيح سبيوس ، تلك الرواية التى سبق أن تناولنا تفاصيلها . وهناك رواية ثالثة وردت فى حولية لمؤرخ مجهول جاء فيها :

« انه فى العام الثانى من حكم قنسطنز استولى المسلمون على ذوين وأسروا خمسة وثلاثين ألفا من الأرمن »(٢٢٥) .

ثم تأتى رواية رابعة زودنا بها جيراجوس الجندزاكى Guiragos de Gandzaki الذى يقول :

---

(٢٢٤) Ghévond, Ch. III, PP. 8-9.

(٢٢٥) Chronique Anonyme, Venise, 1904, P. 77. Cf. Manandian, Les Invasions Arabes en Arménie, dans Byzantion, t. XVIII (1946-1948), P. 169.

« راح ضحية مذابح المسلمين فى مدينة دوين اثنا عشر ألفا من الأرمن »(٢٢٦) .

وأخيراً تأتى الرواية الخامسة التى أوردها صموئيل الآنى Samuel d'Ani والتى جاء فيها :

« فى عهد قنسطنز ، استولى المسلمون على دوين . كان ذلك فى يوم عيد الغطاس . وقتل فى هذه المعركة اثنا عشر ألفا من الأرمن ، وأسر ما يزيد على العشرين ألفا »(٢٢٧) .

هذا عن آراء المصادر الأرمنية بصدد سقوط دوين فى قبضة المسلمين .

أما المصادر السريانية فهناك حولية ديونسيوس Chronique de Tell-Mahré فقد أوردت هذه الحولية أنه :

« فى عام ٩٥٢ (٦٤٠ — ٦٤١ م) قام المسلمون بمحاصرة ومهاجمة دارا Dara ... وفى نفس هذا العام ، حاصر المسلمون دوين Abadin [= Dwin] ، حيث قتلوا جمعا غفيرا بلغ اثنا عشر ألفا من الأرمن »(٢٢٨) .

ثم تأتى رواية سريانية ثانية ، أوردها ميخائيل السريانى فى حوليته .

---

(٢٢٦) Kirakos de Ganjak, Histoire des Arméniens, Tiflis, 1910, P. 58.

(٢٢٧) Extraits des Historiens du Prêtre Samuel d'Ani, Vagharschapat, 1893, P. 80.
والجدير بالذكر أن المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس أدرج حملة حبيب بن مسلمة فى العام الثانى عشر من حكم قنسطنز أى سنة ٦٥٢ أو ٦٥٣ م . أنظر :
Théophane, Chronographia, éd de Boor, 1883, P. 345.

(٢٢٨) Denys de Tell-Mahré, tr. Chabot, P. 6.
وقد شغل مؤلف الحولية منصب بطريرك اليعاقبة فى الفترة من ٨١٨ إلى ٨٤٥ م . (أنظر :
Laurent, P. 11.

فقد أدرج ميخائيل حملة حبيب بن مسلمة تحت أحداث سنة ٢٥ هـ(٢٢٩) (٦٤٥ — ٦٤٦ م) .

هذا عن آراء المجموعة الأولى من المصادر من أرمنية وسريانية بصدد سقوط دوين فى قبضة المسلمين . أما آراء المجموعة الثانية فتضم المصادر الإسلامية ويأتى فى صدارة هذه المصادر « البلاذرى » فى مصدره « فتوح البلدان » إذ ذكر :

> « حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : حاصر حبيب بن مسلمة أهل دبيل [أى دوين] فأقام عليها فلقيه الموريان الرومى فبيته وقتله وغنم ما كان فى عسكره ، ثم قدم سليمان عليه ، والثبت عندهم أنه لقيه بقاليقلا ... ثم سار حبيب وأتى اردساط وهى قرية القرمز وأجاز نهر الأكراد ونزل مرج دبيل فسرب الخيول إليها ، ثم زحف حتى نزل على بابها فتحصن(٢٣٠) أهلها ورموه فوضع عليها مجنيقا ورماهم حتى طلبوا الأمان والصلح(٢٣١) فأعطاهم اياه .

---

(٢٢٩) Michel le Syrien, Chronique, t. II, PP. 440-441.
ولد ميخائيل السريانى فى ملطية ، وكان بطريركاً لليعاقبة فى أنطاكية فى الفترة من ١١٦٦ إلى ١١٩٩ م . أنظر : Laurent, P. 19.

(٢٣٠) فى طبعة بيروت « فتصحن » (انظر فتوح البلدان — طبعة بيروت — ص ٢٠٣) وصحتها « فتحصن » . أنظر البلاذرى : فتوح البلدان — تحقيق صلاح المنجد ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .
أنظر : أيضاً الترجمة الفرنسية لجزء من مصنف البلاذرى فى لوران Laurent, L'Arménie entre Byzance et l'Islam, P. 152.
إذ ترجمها على النحو الآتى : Les habitants s'y fortifièrent
أنظر كذلك : Manandian, P. 170.

(٢٣١) زودنا البلاذرى بكتاب صلح دبيل (دوين) وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم : أنى أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون وعلينا الوفاء =

وجالت خيوله فنزلت جرنى وبلغت أشوش وذات
اللجم والجبل كونته ووادى الأحرار وغلبت على
جميع قرى دبيل ووجه إلى سراج طير وبغروند فأتاه
بطريقه فصالحه عنها على أتاوة يؤديها وعلى مناصحة
المسلمين وقراهم ومعاونتهم على أعدائهم »(٢٣٢) .

هكذا نستخلص من سرد البلاذرى المطول ، المدن والقرى التى فتحها حبيب بن مسلمة الفهرى والتى توضح فى نفس الوقت خط سير حملته ، وهى على التوالى كالآتى : قاليقلا ، خلاط ، اردساط (أرتاشاط فى المصادر الأرمنية Artasat) ، دبيل (دوين) ، جرنى ، أشوش ، ذات اللجم ، الجبل كونتة ، وادى الأحرار ، جميع قرى دبيل ، سراج طير (شيراك فى المصادر الأرمنية Chirak) وبغروند . ثم بعد أن زودنا البلاذرى بكتاب صلح دبيل يذكر أن ابن مسلمة فتح النشوى (نقجوان) ، والبسفرجان (الفاسبوراكان فى المصادر الأرمنية) ، والسسجان (سيونى فى المصادر الأرمنية) ، وجرزان (أى بلاد الكرج) .

واختلفت رواية الطبرى عن رواية البلاذرى إذ يقول فى تاريخه :

« وبعث سلمان بن ربيعة الباهلى إلى أرمينية فى
اثنى عشر ألفا سنة ٢٤ هـ . فسار فى أرض أرمينية
فقتل وسبى وغنم ثم أنه انصرف وقد ملأ يديه حتى
أتى الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته »(٢٣٣) .

= لكم بالعهد ماوفيتم وأديتم الجزية والخراج شهد الله « وكفى بالله شهيداً » وختم حبيب بن مسلمة أنظر : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ . وأيضاً حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ــ القاهرة ١٩٤١ ، ص ٢٥٨ رقم ٣٤٦ . وقد ترجم لوران كتاب صلح دبيل أنظر : Laurent, Op. Cit., P. 552.

(٢٣٢) البلاذرى : فتوح البلدان ــ جـ ١ ، ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ . أنظر أيضاً : Laurent, PP. 551-552; Manandian, P. 170.

(٢٣٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٥ ــ ٤٦ . أنظر أيضاً : Laurent, P. 585; Manandian, P. 170.

ثم يذكر الطبرى رواية أخرى نقلا عن الواقدى يقول فيها أن حبيب ابن مسلمة الفهرى قام بفتح أرمينية سنة ٣١ هـ(٢٣٤) . (٢٤ أغسطس سنة ٦٥١ م /١٢ أغسطس سنة ٦٥٢ م) .

وقد تقاربت رواية اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ /٨٩٧ م) مع رواية الطبرى الأولى ، ولكنه أدرجها تحت أحداث سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ — ٦٤٤ م) . إذ جاء فى تاريخه :

« وجه حبيب بن مسلمة الفهرى إلى أرمينية ، ثم أردفه سلمان بن ربيعة مدداً عليه ، فلم يصل إليه إلا بعد قتل عمر »(٢٣٥) .

وبعد ذلك بصفحات يقول :

« وكان عثمان قد وجه حبيب بن مسلمة الفهرى إلى أرمينية ، ثم أردفه سلمان بن ربيعة الباهلى مدداً له ، فلما قدم عليه تنافرا ، وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة . وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض أرمينية ، وكتب عثمان إلى سلمان بامرته على أرمينية ، فسار حتى أتى البيلقان ، فخرج إليه أهلها ، صالحوه ومضى حتى أتى برذعة ، فصالحه أهلها على شئ معلوم »(٢٣٦) .

وأخيراً تأتى رواية ابن الأثير فى كتابه « الكامل فى التاريخ » ، إذ

---

(٢٣٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك — دار المعارف ١٩٦٧ — جـ ٤ ، ص ٢٩٢ أنظر أيضاً الترجمة الفرنسية فى لوران ومانديان . Laurent, P. 586; Manandian, P. 170.

(٢٣٥) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ . أنظر أيضاً الترجمة الفرنسية فى لوران ومانديان . Laurent, P. 477; Manandian, PP. 170-171.

(٢٣٦) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ . أنظر أيضاً الترجمة الفرنسية فى لوران . Laurent, P. 477.

كعادته نقل عن الطبرى[٢٣٧] ، وبالتالى زودنا بروايتين متناقضتين . فيقول فى روايته الأولى تحت أحداث سنة ٢٥ هـ :

« بعث سلمان بن ربيعة الباهلى إلى أهل أرمينية فى اثنى عشر ألفا ، فسار فى أرمينية يقتل ويسبى ويغنم ، ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد ، فعاد الوليد وقد ظفر وغنم ... »[٢٣٨] .

وفى روايته الثانية ، المتناقضة مع روايته الأولى ، ذكر ابن الأثير تحت أحداث سنة ٣١ هـ .

« وقيل فى هذه السنة فتحت أرمينية على يد حبيب بن مسلمة[٢٣٩] ، وقد تقدم ذكر ذلك »[٢٤٠] .

وبذلك يتضح لنا تضارب المصادر الإسلامية فى تأريخها لفتح دوين بسبب ابتعادها عن الأحداث واعتمادها على الأسانيد .

ويتضح من استعراضنا للمصادر الاسلامية ، أنها غير متفقة على تاريخ واحد بخصوص حملة حبيب بن مسلمة الفهرى على أرمينية . فالبلاذرى ذكر أن فتح دوين وقع فى سنة ٢٥ هـ (٦٤٥ — ٦٤٦ م) ، أما الطبرى وابن الأثير الذى نقل عنه ، فقد أشارا إلى هذه الحملة تارة تحت أحداث سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م) ، وتارة أخرى تحت أحداث سنة ٣١ هـ (٦٥١ م) أما اليعقوبى ، فقد أشار إليها تحت أحداث سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ — ٦٤٤) .

(٢٣٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٨٣ . وقارن مع الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٦ . أنظر أيضاً ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ١٥٠ .

(٢٣٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨٣ . أنظر أيضاً : Manandian, P. 171.

(٢٣٩) عن « حبيب بن مسلمة » أنظر حاشية رقم ١٥٦ .

(٢٤٠) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٩ .

وبدراسة تحليلية نقدية مقارنة للرواية الإسلامية ، نستخلص أنها لا تخص السقوط الأول لمدينة دوين ، الذى أورد تفاصيله كل من سبيوس وجيفوند ، ولكنها تتعلق بسقوط دوين الأخير بعد فتح المسلمين لأرمينية وبلاد الكرج والبانيا وذلك فى أوائل النصف الثانى من القرن السابع الميلادى . وبذلك يكون التاريخ الدقيق لسقوط دوين الأول ، هو يوم الجمعة ٦ أكتوبر سنة ٦٤٠ م (١٢ شوال سنة ١٩ هـ) ، مستندين فى ذلك إلى رأى المجموعة الأولى وعلى رأسها المؤرخ الأرمنى المعاصر سبيوس .

والجدير بالذكر أنه فى سنة ٦٤٧ م /٢٧ هـ استعاد البيزنطيون سيطرتهم على أرمينية بالكامل . وقد استفاد الامبراطور البيزنطى قنسطنز من استعادة أرمينية لكى يحاول اثارة مشاعر الأرمن الدينية وكسب حقدهم وذلك بأن يدخل الكنيسة الأرمنية فى الأرثوذكسية الاغريقية . فأرسل إلى أرمينية عالماً لاهوتياً يدعى داود البجريفانى David de Bagravan ، وأوصاه أن يبذل قصارى جهده لاقناع رجال الكهنوت فى أرمينية على الاتحاد المذهبى مع بيزنطة . واتفق الجميع على عقد مجمع دوين المسكونى تحت رئاسة الكاثوليكوس نرسيس الثالث وثيودور الرشتونى ، حضره الأساقفة وأشراف الأرمن ، لبحث الصيغة البيزنطية المقترحة . واتفق الجميع على رفضها ، والتمسك بأن للمسيح طبيعة واحدة ، ورفض مبدأ الطبيعة الثنائية الذى أقره من قبل مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م[٢٤١] .

هكذا كانت سياسة قنسطنز تتسم بقصر النظر والغطرسة والتعصب المذهبى ، كل هذا وحملات الجيوش الإسلامية المتعاقبة تجتاح بلا ملل ربوع أرمينية . فبدلاً من توحيد صفوف الأرمن

---

(٢٤١) للتفاصيل أنظر : Sébēos, PP. 112-129; Asolik, PP. 121-127.

وجذبهم إلى جانب بيزنطة ، كانت سياسة العاهل البيزنطى وحماقته تجعلهم أشد انجذاباً نحو الفاتحين المسلمين المتسامحين .

على أية حال ، بعد أن زودنا جيفوند بروايته عن سقوط دوين فى قبضة المسلمين ، تحدث فى الجزء الثانى من الفصل الثالث عن سقوط قلعة أردزاب Ardzaph فى أيدى المسلمين . فاستهل حديثه بالقول أنه فى عام ٣٦ هـ(٢٤٢) (٦٥٦ — ٦٥٧ م) ، شن المسلمون حملة جديدة على أرمينية بقيادة عثمان Othman وعقبة Ocba . فانقسم جيش المسلمين فور وصوله إلى حدودها إلى ثلاثة أقسام ، وبدأ فى شن هجماته ، إذ توجه القسم الأول إلى اقليم الفاسبوراكان(٢٤٣) Vaspourakan ، ونجح فى الاستيلاء على الكفور والأماكن الخصبة وواصل زحفه إلى أن وصل إلى مدينة نقجوان . أما القسم الثانى ، فقد تمكن من التسلل إلى اقليم الطارون ، فى حين أن القسم الثالث زحف بمشقة بالغة إلى اقليم كوجوفيت وتسلل إلى أن وصل حتى قلعة أردزاب(٢٤٤) الحصينة . وعندما اكتشف المسلمون مدخل القلعة ،

(٢٤٢) أخطأ جيفوند فى تاريخه هذا ، وصحة ذلك سنة ٣٠ هـ / ٦٥٠ م ، إذ أن المسلمين استولوا على قلعة أردزاب Ardzaph فى ١٦ محرم سنة ٣٠ هـ /٨ أغسطس سنة ٦٥٠ . أنظر : Manandian, PP. 183 spp; Canard, L'Arménie et le califat Arabe, dans R.E.A., t. XIII, Paris, 1978-1979, P. 387.

ولم يذكر جيفوند أن هذه الحملة انطلقت من أذربيجان وليس من بلاد الجزيرة . أنظر : Sébêos, XXX, P. 108.

(٢٤٣) تطلق المصادر البيزنطية عادة لفظ أسبوراكان Aspourakan على الفاسبوراكان . وورد على شكل بسفرجان فى المصادر الإسلامية ، بضم الفاء ، وسكون الراء ، وجيم وألف ونون : ويعرفها ياقوت فى معجمه بأنها كورة بأرض أران ومدينتها النشوى ، وهى نقجوان . أنظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٢٢ ، البغدادى : مراصد الاطلاع ، جـ ١ ، ص ١٩٧ . ومما يذكر أن الدكتور عمران ترجمها « باسباراكا » Basparakanite دون أن يزودنا بتفاصيل عن موقعها أنظر إدارة الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٨ . علماً بأن النص المترجم يتعلق بجاجيك أردزرونى (٩٠٨ — ٩٣٦ م) Gagik Ardzrouni حاكم الفارسبوراكان . أنظر : De Administrando Imperio, Vol. I, Ch. 45, P. 209, Vol. II, Commentary, Ch. 45, P. 175; Arisdagues, P. 31, n. 4. Cf. Laurent, P. 42.

(٢٤٤) تقع قلعة أردزاب Ardzaph فى اقليم كوجوفيت . أنظر : Grousset, Histoire de l'Arménie, P. 299.

دخلوها خلسة فى غسق الليل ، فوجدوا حاميتها تغط فى النوم ، فاستولوا عليها وأسروا الجنود المكلفين بحراستها . إلا أن القائد الأرمنى ثيودور تمكن من حشد ستمائة من أحسن وأشجع مقاتلى الأرمن ، وسلحهم أحسن تسليح ، وانقض على الكتيبة الاسلامية الثالثة كانقضاض النسر الذى ينقض على فريسته — كما يقول جيفوند وتمكن من قتل ثلاثة آلاف من المسلمين ، واطلاق سراح الأسرى الأرمن ، وأجبر البقية الباقية من جنود الكتيبة الثالثة على الفرار . واختتم جيفوند هذا الفصل بقوله أن الأرمن عادوا إلى ديارهم محملين بالغنائم والمنهوبات ، شاكرين الله أنه مكنهم من الانتقام من الأعداء . أما بالنسبة لجنود الكتيبة الأولى والثانية من جيش المسلمين ، فقد عادوا إلى بلاد الشام ، وبصحبتهم الأسرى والغنائم . وعقب تلك الحملة ، نعمت أرمينية بسلام دام عامين . أما المسلمون ، فقد جنحوا إلى الراحة والاسترخاء(٢٤٥) .

والجدير بالملاحظة أن رواية سبيوس كانت أكثر تفصيلاً من رواية جيفوند ، أضف إلى ذلك أن بها بعض المعلومات الجديدة بصدد سقوط قلعة أردزاب ، وقد سبق لنا تناول تفاصيلها .

وإذا رجعنا إلى رواية جيفوند نلاحظ تجاهله الاشارة إلى أسباب انتشار السلام فى ربوع أرمينية آنذاك ، بل اكتفى بأن اختتم فصله الثالث بذكر انتهاء خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، لينقض فجأة فى فصله الرابع على خلافة معاوية بن أبى سفيان . وبذلك نلاحظ أن جيفوند فشل فى ربط الأحداث التى كان مسرحها الدولة الإسلامية الفتية بحملات المسلمين على أرمينية ، بل تجاهل ذكر خلافة على بن أبى طالب (٣٥ — ٤٠ هـ/٦٥٦ — ٦٦١ م) .

(٢٤٥) Ghévond, Ch. III, PP. 9-10.
والجدير بالملاحظة أن رواية أسوليك عن سقوط قلعة أردزاب فى قبضة المسلمين ، تقاربت تماماً مع رواية جيفوند ، إذ أن أسوليك كعادته لخص ما أورده جيفوند . أنظر : Asolik, I, P. 153.

وعلى أية حال ، كان سبب السلام الذى عم ربوع أرمينية آنذاك ، هو ما حل بدار الاسلام من فتن واضطرابات داخلية نتيجة مقتل الخليفة عثمان ابن عفان سنة ٣٥ هـ (٦٥٦ م) ، وانفجار الصراع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان على الخلافة . بالاضافة إلى ذلك ، اضطر معاوية أن يبرم معاهدة سلام مع البيزنطيين(٢٤٦) ، يدفع بموجبها جزية سنوية لهم . وكان هدفه من ذلك ، التفرغ لحرب على بن أبى طالب . لذلك هدأت الحرب الاسلامية البيزنطية ، وتوقفت الفتوحات الإسلامية فى أرمينية ، إلى أن قتل على بن أبى طالب سنة ٤١ هـ (٦٦١ م) ، وتنازل ابنه الحسين عن الخلافة لمعاوية . وبذلك استدل الستار على الاضطرابات الداخلية والفتن فى دار الاسلام ، وتمكن معاوية من معاودة الحرب ضد البيزنطيين والأرمن(٢٤٧) ، بل واهتم اهتماماً بالغاً بتنظيم حملة ضخمة لفتح أرمينية على حد قول جيفوند الذى يؤخذ عليه أنه خلط بين عهدى عثمان بن عفان (٢٤ ــ ٣٥ هـ /٦٤٤ ــ ٦٥٦ م) ومعاوية بن أبى سفيان (٤١ ــ ٦٠ هـ /٦٦١ ــ ٦٨٠ م) ، فزودنا بأحداث تمت فى خلافة عثمان ولكنه نسبها عن طريق الخطأ إلى خلافة معاوية الذى كان لا يزال والياً على بلاد الشام .

---

(٢٤٦) فى هذا الصدد يقول اليعقوبى : « كان معاوية أول من صالح الروم » . أنظر تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ . والجدير بالملاحظة أن المؤرخ الأرمنى المعاصر سبيوس ، والذى نقل عنه جيفوند ، ذكر فى ختام مصنفه مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، وما حل بدار الاسلام من فتن واضطرابات داخلية نتيجة انفجار الصراع بين على بن أبى طالب ومعاوية ابن أبى سفيان . واختتم مصنفه قائلاً أنه باعتلاء معاوية عرش الخلافة الأموية ، أسدل الستار على الاضطرابات الداخلية والفتن ، وعم السلام ربوع دار الاسلام . وقد أظهر سبيوس فرحه البالغ لما حل بدار الاسلام من اقتتال وتفرق الكلمة . أنظر :

Sébêos, Ch. XXXVIII, PP. 148-149.

(٢٤٧) للتفاصيل المطولة أنظر :

Sébêos, PP. 112-129; Asolik, PP. 121-127;

Vardan, P. 89, n. 2. Cf. Tournedize, P. 352.

على أية حال ، ذكر جيفوند أن معاوية اهتم اهتماماً بالغاً بتنظيم حملة ضخمة لفتح أرمينية . أما الامبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى (٦٤١ — ٦٦٨ م) Constants II ، فقد سارع باصدار أوامره إلى القائد العام لكيليكيا Cilicie بالخروج لقتال الجيش الإسلامى وذلك فور علمه باستعدادات معاوية . ثم قام العاهل البيزنطى بعزل ثيودور الرشتونى من منصبه ، بسبب رفض العاهل الأرمنى مذهب الطبيعة الثنائية للمسيح فى مجمع دوين المسكونى . والعداء القائم بينه وبين القائد البيزنطى بروكوب Procope ونصب مكانه سمباط بجراط(٢٤٨) وأمره بالانخراط فى صفوف القائد العام للجيوش البيزنطية فى كيليكيا فى حملته المرتقبة ضد المسلمين(٢٤٩) .

ويذكر جيفوند أن الامبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى كان قد كتب فى نفس الوقت إلى ثيودور الرشتونى ، بعد عزله من منصبه ، كتاباً يأمره فيه باضمام جيوشه إلى الحملة البيزنطية الأرمنية ، هادفاً من ذلك تعزيز وتقوية كتائب الجيش البيزنطى . فرفض القائد الأرمنى المعزول ذلك ، فكرر له الامبراطور نفس الأمر والطلب ، وهدده — فى حالة الرفض ثانية — بإفناء سلالته عقب استعادة أرمينية من قبضة المسلمين . فرضخ ثيودور للتهديد . وانتقاماً من طغيان الامبراطور البيزنطى وغطرسته ، أصدر أمره إلى ابنه فارد Vard بالانخراط فى

---

(٢٤٨) توفى سمباط بن فاراز تيروتس Sambat de Varaz-Tirotz سنة ٦٥٤ م/٣٤ هـ أنظر :
Vardan, P. 86, n. 5. Cf. Saint-Martin, I, P. 337.
وقد أخطأ جيفوند حين قال أنه عين قربلاطا ، فالصحيح أن قنسطنز اعترف به زعيماً لأسرة بجراط خلفا لوالده فاراز تيروتس وأنعم عليه بلقب دورنجار Drungar, أى قائد لجيش من المشاة يتراوح بين ألف وثلاثة آلاف جندى . وبالتالى انزلق إلى الخطأ كل من :
Jean Catholicos, XI, PP. 73-74; Vardan, P. 86, n. 5. Cf. Saint-Martin, I, 337; Tournebize, PP. 96-97; K. Aslan, Etudes Historiques, P. 276; Ghazarian, P. 30; Morgan, P. 116.

(٢٤٩) Ghévond, Ch. IV, PP. 11-12.

صفوف القائد الأرمنى سمباط ، وأوصاه بخيانة البيزنطيين فى اللحظة المواتية ، والتواطؤ مع المسلمين أعدائهم(٢٥٠) .

وبمجرد انضمام فارد إلى صفوف جيش القائد العام البيزنطى بروكوب ، زحفت الجيوش البيزنطية الأرمنية لقتال جيش المسلمين ، وتمكنت من عبور نهر الفرات والتسلل إلى بلاد الشام . وصنع البيزنطيون جسرا على عرض النهر ، بأن قيدوا سفنهم بالحبال كل وراء الأخرى . وتم إسناد حراسة هذا الجسر الصناعى إلى فارد ، وذلك بناء على طلبه ، وبأوامر من بروكوب . واندلع القتال بين المسلمين من جهة والبيزنطيين والأرمن من جهة أخرى ، ودارت معركة ضاربة . ففى بداية الاقتتال ، كانت الخسائر فادحة فى صفوف الطرفين المتصارعين ، لكن جيش المسلمين عاود هجماته بحماس فائق ، مدفوعاً بحب الاستشهاد فى سبيل الله كما يشهد على ذلك جيفوند . لذا ، رجحت كفته ، والحق شر الهزائم بالتحالف البيزنطى الأرمنى . ومما زاد الطين بلة ، أن انتهز فارد فرصة انكسار الجيش البيزنطى ، وتشجع بالنصر الذى أحرزه المسلمون عليهم ، فعبر الشاطئ المواجه للنهر ، وقام بفك أوصال الجسر الصناعى المكون من السفن البيزنطية بأن قطع الحبال ، فتفرقت السفن . وكان هذا الجسر الصناعى يهيأ للبيزنطيين الانسحاب بسهولة وأمان فى لحظة انكسارهم . وبذلك أحدقت الأخطار بالجيش البيزنطى من كل جهة ، فأصبح بين شقى الرحى . وهكذا ساعد فارد المسلمين على أن يقذفوا بالجيش البيزنطى فى أعماق نهر الفرات فغرق ما لا حصر له من جنوده إلا القلة القليلة التى تمكنت من الفرار ، ووصلت إلى أراضى الامبراطورية البيزنطية(٢٥١) .

(٢٥٠) Ghévond, Ch. VI, P. 12.

(٢٥١) Ghévond, Ch. IV, P. 12-13.

وقد ترجم مركوارت ما أورده جيفوند . أنظر : Marquart, Streifzüge, PP. 440-441.

وعقب هذه الهزيمة الساحقة ، دب اليأس فى قلب الامبراطور البيزنطى قنسطنز الثانى ، فاتخذ قراره النهائى بأن لا يهاجم المسلمين(٢٥٢) البتة على حد زعم جيفوند . أما معاوية ، قد أرسل برسوله إلى أرمينية ، ليخبر سكانها بأنهم إذا لم يخضعوا للسيادة الإسلامية ، ويدفعوا الجزية السنوية ، فسيفنيهم عن بكرة أبيهم(٢٥٣) . وفى قول جيفوند هذا الكثير من الأجحاف والتعصب الأعمى ويتنافى تماماً مع رواية سبيوس المعاصر للأحداث .

ويشير جيفوند فى مصنفه إلى انعقاد مؤتمر قومى لمناقشة مطالب المسلمين الظافرين ، ضم كبار رجال الأمة الأرمنية من أمراء وأشراف ، وحضره أيضاً الكاثوليكوس (البطريرك الأرمنى) نرسيس الثالث(٢٥٤) ، انتهى باتفاق الجميع على قبول السيادة الاسلامية(٢٥٥) ودفع جزية سنوية وارسال اثنين من الرهائن من كبار أمراء الأرمن هما : جريجوار ماميكونيان وسمباط بجراط إلى معاوية بناء على طلبه . وبوصولهما إليه ، أخبرهما بأن الجزية المفروضة على أرمينية مقدارها خمسمائة دينار من الفضة مقابل أن تنعم البلاد بالأمن والأمان الكامل فى كل ربوعها .

(٢٥٢) علماً بأن سبيوس زودنا بتفاصيل حملة ضخمة بقيادة الامبراطور البيزنطى قنسطنز لاعادة أرمينية إلى حظيرة الامبراطورية البيزنطية . أنظر : Sébêos, Ch. XXXV, PP. 134-135.
وبعد تحليل رواية سبيوس ، نستطيع أن نحدد تاريخ هزيمة بروكوب بعام ٦٥٢ م/٣٢ هـ . وليس سنة ٦٣٥ م/٣٣ هـ كما يعتقد ملدرمان . أنظر : Vardan, P. 83, P. 83, n. 4. وقارن Sébêos, P. 139.

(٢٥٣) Sébêos, Ch. XXXV, PP. 132-133. قارن مع Ghévond, Ch. IV, P. 13.

(٢٥٤) يتهم سبيوس البطريرك الأرمنى نرسيس الثالث بأنه كان يؤيد البيزنطيين ومذهبهم الخلقيدونى ، ويناصب المسلمين العداء . أنظر : Sébêos, Ch. XXXV, P. 136.

(٢٥٥) Sébêos, Ch. XXXV, PP. 132-133; Jean Catholicos, Ch. XII, P. 74.
Cf. Hübschmann, Zur geschichte Armen, P. 30, n. 3.
والملاحظ أن أرمن غرب أرمينية كانوا يناصرون السيادة البيزنطية على السيادة الإسلامية ، بحكم مجاورتهم لدولة الروم ، فى حين أن أرمن شرق أرمينية وعلى رأسهم الزعيم الأرمنى ثيودور رشتونى ، فضلوا سيادة المسلمين على سيادة الروم . أنظر :
Sébêos, P. 135. Cf. Laurent, PP. 241-242.

وفى العام الثانى من حكم معاوية كما يقول جيفوند ، منح معاوية الأمير جريجوار ماميكونيان[٢٥٦] لقب الحاكم العام لأرمينية ، وأطلق سراحه هو وسمباط بجراط بعد أن أكرمهما وغمرهما بهداياه . وبذلك ساد السلام ربوع أرمينية[٢٥٧] .

وبعد هذا العرض المفصل لحملات المسلمين على أرمينية فى عهد الخلفاء الراشدين ، وبعد دراسة نقدية تحليلية لكافة المصادر من إسلامية وأرمنية وسريانية وبيزنطية ، لا يمكننا قبول رأى مانندیان القائل بأن حملات المسلمين اقتصرت على ثلاث :

الأولى : سنة ٦٤٠ م/١٩ هـ ، خرجت من الجزيرة واستولت على دوين فى السادس من أكتوبر سنة ٦٤٠ م/١٢ شوال سنة ١٩ هـ .

والثانية : خرجت من آذربيجان سنة ٦٤٢ ــ ٦٤٣ م/٣٢ ــ ٣٣ هـ لفتح أرمينية الفارسية .

وأخيراً الثالثة ، خرجت من آذربيجان واستولت على قلعة أردزاب فى ١٨ أغسطس سنة ٦٥٠ م/١٦ محرم سنة ٣٠ هـ .

وبذلك تجاهل مانندیان حملة المسلمين الأولى ، سنة ١٩ هـ/ ٦٤٠ م ، والتى كانت بمثابة حملة استكشافية كما أوضحنا . وتجاهل أيضاً حملتهم الثانية سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م أيضاً ، وفيها استولى

(٢٥٦) جريجوار ماميكونيان هو شقيق همازسب Hamazasp كان رهينة فى بلاط الخليفة الأموى معاوية (Sébēos, PP. 151-152) . وفى العام الثانى من حكم العاهل الأموى ، أعد العدة للقيام بحملة ضخمة على بيزنطة . ورغب فى نفس الوقت أن يضمن بقاء أرمينية خاضعة للسيادة الإسلامية . لذا ، أطلق سراح جريجوار ، وعينه حاكماً عاماً عليها ، وأكرمه أحسن تكريم . وقد حظى جراجوار من قبل بترشيح لهذا المنصب من قبل البطريرك الأرمنى نرسيس وأشراف أرمينيه وقد شغل هذا المنصب من سنة ٦٦٢ م حتى وفاته فى معركة ضد الخزر سنة ٦٨١ م . أنظر : Asolik II, Ch. II, P. 71; II, Ch. IV, P. 89. Cf. Toumanoff, Studies in Caucasian Hist., P. 398 et n. 331.

(٢٥٧) Ghévond, Ch. IV, PP. 13-14.

المسلمون على قرى المار واقليم جوجثن ونقجوان . وكذلك حملة ثالثة ، تمكن فيها المسلمون من عبور نهر الرس واجتياح اقليم أرتاز والتحامهم مع جيش الزعيم الأرمنى ثيودور فى معركة سراكين سنة ٦٤٠ م/١٩ هـ ، ثم التحامهم مع القائد البيزنطى بروكوب وانتصارهم الحاسم على جيوشه البيزنطية .

كل هذه الحملات ، لم يدرجها ماننديان فى تعداده وحساباته .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأصلية :

ا ــ المصادر العربية المخطوطة والمنشورة .

ب ــ المصادر الأجنبية .

ثانياً : المراجع الثانوية :

ا ــ المراجع العربية والمعربة .

ب ــ المراجع الأجنبية .

أولاً : المصادر الأصلية

١ ـ المصادر العربية المخطوطة والمنشورة

القرآن الكريم .

ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) أبو المحاسن على بن أبى الكرم الملقب عز الدين :

« الكامل فى التاريخ » ـ ٩ جـ ـ بيروت ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م .

ابن جبير (٥٣٩ ـ ٦١٤ هـ/١١٤٤ ـ ١٢١٧ م) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى :

« رحلة ابن جبير » بيروت ١٩٧٩ .

ابن الجوزى « سبط » (ت ٦٥٤ هـ /١٢٥٧ م) أبو المظفر شمس الدين يوسف قزاؤغلى :

« مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » ـ جـ ٩ ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ـ رقم ٩٢٧٦ ج .

ابن حوقل (عاش فى القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادى) أبو القاسم محمد بن حوقل :

« كتاب صورة الأرض » ـ بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٧٩ م .

ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد :

١ ـ « مقدمة ابن خلدون » ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٩٥٧ م .

٢ ـ « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ـ ٧ جـ ـ بيروت ١٩٧١ م .

ابن رسته : أبو على أحمد بن عمر بن رسته :
« الأعلاق النفيسة » ــ ليدن ١٣٠٩ هـ/١٨٩١ م .

ابن سعيد المغربى (٦١٠ ــ ٦٨٥ هـ/١٢١٤ ــ ١٢٨٦ م)
أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربى :
« كتاب الجغرافيا » ــ تحقيق اسماعيل العربى ــ الجزائر ١٩٨٢ .

ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشى :
« البداية والنهاية فى التاريخ » ــ ١٤ جـ ــ الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .

الاصطخرى (ت فى القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادى) أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى :
« مسالك الممالك » ــ نشر دى غويه ــ ليدن ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٧ م .

أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن على :
« تقويم البلدان » ــ باريس ١٢٥٦ هـ/١٨٤٠ م .

البغدادى (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م) صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق :
« مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » ــ ٣ أجزاء ــ تحقيق على محمد البجاوى ــ القاهرة ١٩٥٤ م .

البغدادى (ت ٢٧٥ هـ/٨٩٢ م) أبو المحاسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى :
« فتوح البلدان » ــ ٣ أجزاء ــ تحقيق صلاح المنجد ــ دار النهضة العربية (بدون تاريخ) .

حميد الله :

« مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة » ــ القاهرة ١٩٤١ .

الطبرى (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير :

« تاريخ الأمم والملوك » ــ القاهرة ١٩٦٧ .

العينى (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م) بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى :

« عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » ــ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

القزوينى (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزوينى :

« آثار البلاد وأخبار العباد » ــ بيروت دار صادر (بدون تاريخ) .

الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف المصرى :

« كتاب الولاة وكتاب القضاة » ــ نشر رفن جست ــ مطبعة الآباء اليسوعيين ــ بيروت ١٩٠٨ م .

الماوردى (ت ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م) أبو الحسن على بن حبيب العبرى البغدادى :

« الأحكام السلطانية والولاية الدينية » ــ بيروت ١٩٧٨ م .

المسعودى (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) أبو الحسن على بن الحسن بن على :

١ ــ « مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ » ــ جزءان ــ القاهرة ١٣٤٦ هـ .

٢ ــ « كتاب التنبيه والإشراف » ــ نشر دى غويه ــ ليدن ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م .

المقريزى (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤٢ م) تقى الدين أبو العباس أحمد :

« السلوك لمعرفة دول الملوك » ــ القاهرة ١٩٥٧ .

ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى البغدادى :

« معجم البلدان » ــ خمسة أجزاء ــ نشر دار صادر بيروت ــ ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ ــ ١٩٥٧ م .

اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح :

١ ــ « كتاب البلدان » ــ ليدن ١٣٠٦ هـ/١٨٨٩ م .

٢ ــ « تاريخ اليعقوبى » ــ بيروت ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م .

ب ــ المصادر الأجنبية

Açoghig (Asolik) de Taron Et., Histoire Universelle, 1ère Partie, Trad. E. Delaurier, Paris, 1883; 2ème Partie, Trad. F. Macler, Paris, 1917.

Agathange, Histoire du Règne de Tiridate, Trad. V. Langlois, Dans Collection des Historiens Anciens et Modernes de L'Arménie, Paris, 1869, T. I, P. 99-200.

Anonyme; Histoire de Saint Nersès, Venise, 1853.

Arisdaguès de Lasdiverd, Histoire D'Arménie, Trad. E. Prud' Homme, Paris, 1864.

Aristakès de Lastivert, Récit des Malhevrs de la Nation Arménienne, Trad. M. Canard, Bruxelles, 1973.

فايز نجيب اسكندر : « أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة فى مصنف أريستاكيس الستيفرتى » ــ الاسكندرية ١٩٨٣ .

Cedrenus, G., Historiarum Compendium, éd. Bekker, Dans C.S.H.B., Bonn, 1839.

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, Trans, T.Y.H. Jenkins, Budapest, 1849.

ترجمة الدكتور محمود سعيد عمران : « إدارة الإمبراطورية البيزنطية » ــ بيروت ١٩٨٠ .

Vol. II, Commentray, London, 1862.

Dennys de Tell-Mahré, Chronique, Publiée Par Y.B. Chabot, Paris, B.E.H.E., 112, 1895.

Faustus de Byzance, Bibliothèque Historique, Dans V. Langlois, Collection des Historiens Anciens et Modernes de l'Arménie, Paris, 1869, T. I, P. 201-312.

Ghévond, Histoire des Guerres et des Conquêtes des Arabes en Arménie, Trad. G.V. Chahnazarian, Paris, 1856.

فايز نجيب اسكندر : « أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى مصنف جيفوند » ـــ الاسكندرية ١٩٨٢ .

Jean VI Catholicos, Histoire D'Arménie, Depuis L'Origine du Monde Jusqu'à 925, Trad. J. Saint-Martis, Paris, 1841.

Jean Mamikonian, Histoire de Tarawn, Venise, 1832.

Kirakos de Gantzag, Deux Historiens Arméniens, Trad. Brosset, St. Pétersbourg, 1870.

Matthieu D'Edesse, Chronique, Trad. Ed. Dulaurier, Paris, 1858.

Michel le Syrien, Chronique, Trad. V. Langlois, Paris, 1868.

Moses Khorenats'i, History of The Armenians, Trad. Robert W. Thomson, London, 1878.

Samuel D'Ani, Revue Générale de sa Chronique par Brosset M.F., B.A.S., 18, St. Pétersbourg, 1871.

Sébêos, L'évêque, Histoire D'Héraclivs, Trad. F. Macler, Paris, 1904.

فايز نجيب اسكندر : « المسلمون والبيزنطيون والأرمن فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمنى المعاصر سبيوس » ـــ بيروت ١٩٩٣ .

Théophane le Confesseur, Chronographia de 284 à 813, éd. de Boor, Leipzig, 1883-1885.

Thomas Ardzrouni, Histoire des Ardzrouni, Trad. Brosset, St. Pétersbourg, 1874-1876.

Vardan le Grand, La Domination Arabe en Arménie, Trad. J. Muyldermans, Louyain, 1827.

Vita Euthynii, éd. de Borr, Berlin, 1888.

Zénob de Klag, Histoire de Darôn, Trad. E. Prud'Homme, J.A., 1863.

Zonoras, Epitomae Historiarum, éd. T. Buttner-Wobst, Dans, C.S.H.B., Bonn, 1839.

ثانياً المراجع الثانوية

ا ـــ المراجع العربية والمعربة

اندريه ايمار :

« تاريخ الحضارات العام » ـــ المجلد الثانى « روما وامبراطوريتها » ترجمة يوسف أسعد داغر ـــ بيروت ١٩٨١ .

حسنين محمد ربيع (الدكتور) :

« دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ـــ القاهرة ١٩٨٣ .

طه باقر :

« تاريخ ايران القديم » ـــ مطبعة جامعة بغداد ـــ ١٩٨٠ .

عبد المنعم ماجد (الدكتور) :

١ ـــ « التاريخ السياسى للدولة العربية » ـــ الجزء الأول ـــ القاهرة ١٩٦٥ .

٢ ـــ « مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى » ـــ القاهرة ١٩٧١ .

فايز نجيب اسكندر (الدكتور) :

١ ـــ « دراسة تأريخية لحملة المسلمين الأولى على أرمينية سنة ١٩ هـ/ ٦٤٠ م » ـــ بحث منشور فى مجلة سرتا ـــ يصدرها دورياً معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة ـــ العدد الثامن الجزائر ١٩٨٣ .

٢ ـــ « الفتوحات الإسلامية لأرمينية » ـــ الاسكندرية ١٩٨٣ .

٣ ـــ « استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية » آنى ـــ القاهرة ١٩٨٧ .

٤ ـــ « الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى » ـــ القاهرة ١٩٨٨ .

٥ ــ « غزو الامبراطورية البيزنطية لأرمينية » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
٦ ــ « الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج (= جورجيا) » ــ القاهرة ١٩٨٨ .

ليلى عبد الجواد (الدكتورة) :
« الدولة البيزنطية فى عصر الامبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين » ــ القاهرة ١٩٨٥ .

نعيم فرح (الدكتور) :
- « تاريخ بيزنطة » ــ دمشق ١٩٧٨ .

وسام عبد العزيز فرج (الدكتور) :
« الامبراطورية البيزنطية » ــ الإسكندرية ١٩٨٢ .

ب ـ المراجع الأجنبية

Adontz, N.,

Les Taronites en Arménie et à Byzance, Dans Byzantion, T. IX, Fasc. 2 (1834), P. 715-738.

Arzoumanian, Z.,

Studies in Arménian Historiography, Philadelphia, 1881.

Aslan, K.,

Etudes Historiques sur le Peuple Arménien, Paris, 1819.

Baumgartner, A.,

Ueber das Buch "Die Chrie", Leipzig, 1886.

Bernadette Martin-Hisard,

Domination Arabe et Libertés Arméniennes VII^{e}-IX^{e} Siécles, Toulouse, 1986.

Bréhier, L.,

1 - Vie et Mort de Byzance, Paris, 1969.

2 - Les Institutions de L'Empire Byzantin, Paris, 1948.

Brosset, M.F.,

1 - Notice Sur L'Historien Arménien Thomas Ardzrouni, X^{e} Siècle, St. Pétersbourg, 1862, P. 686-763.

2 - Ruines D'Ani, Capitale de L'Arménie, Histoire et Description, St. Pétersbourg, 1861.

Bury, J.B.,

The Imperial Administrative System, London, 1911.

Cahen. C.L.,

L'Islam et les Croisades, Dans Turcobyzantina, London, 1974, Art. D. P. 625-635.

Canard, M.,

1 - L'Arménue et le Califat Arabe de Ter-Lévondyan, C.R. Canard Dans R.E.A., T. XIII, Paris, 1978-1979, P. 387-407.

2 - Histoire de la Dynastie des Hamdânides de Jazira et de Syrie, T. I, Paris, 1853.

Cambridge Medieval History, T. IV, I, Cambridge, 1957.

Dédéyan, G.,

Histoire des Arméniens, Toulouse, 1986.

Der Nersessian, S.,

1 - The Armenians, Norwich, 1972.

2 - Byzance et L'Arménie, Louvain, 1973.

Diehl, CH.,

Justinien et la Civilisation Byzantine au VIè Siècle, Paris, 1901.

Dulaurier, ED.,

1 - Recherches sur la Chronologie Arménienne Technique et Historique, T.I., Paris, 1859.

2 - Extrait de la Chronique de Michel le Syrien, Dans J.A., October, 1848.

Fayez Naguib Iskandar,

Les Richesses de L'Arménie au Temps des Bagratides, Le Caire, 1988.

Ghazarian, M.,

Arménien Unter der Arabischen Herrschaft, Marburg, 1903.

Grousset, R.,

1 - Histoire de L'Arménie des Origines à 1071, Paris, 1973.

2 - L'Empire du Levant : Histoire de la Question D'Orient au Moyen Age, Paris, 1948.

Honigmann, E.,

1 - Die Ostgrenze des Byz. Reiches Von 363 Bis 1071, Bruxelles, 1935.

Hubschmann, H.,

1 - Arménische Grammatik, Lipzig, 1897.

2 - Die Altarmenischen Ortsnamen, Mit Beiträgen Zur Hist. Topographin Arméniens und Einer Karte, Strasbourg, 1904.

Indjidji,

1 - L'Arménie Ancienne, Venise, 1882.

2 - L'Arménie Moderne, Venise, 1885.

Laurent, J.,

1 - L'Aménie Entre Byzance et L'Islam, Depuis la Conquête Arabe Jusqu'en 886, Nouvelle édition par Marius Canard, Lisbonne, 1980; Ancienne édition, Paris, 1919.

Manandian, M.,

1 - The Trade and Cities of Arménia in Relation to The Ancient World, Trad. N. Garsoïan, Lisbonne, 1965.

2 - Les Invasions Arabes en Arménie, Dans Byzantion, 1946-1948, T. XVIII, P. 163-195.

Marquart, J.,

1 - Osteuropäische und Ostasiatische Streifzüge, Leipzig, 1903.

2 - Erânsahr Nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i, Berlin, 1901.

Minosky, V.,

1 - Le Nom de Dvin en Arménie, Dans Iranica Twenty Articles, Tehran, 1964, 51 (1930), P. 1-11.

2 - Studies in Caucasian History, Cambridge, 1952.

Morgan, J.,

Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1919.

Pasdermadjian, H.,

Histoire de L'Arménie, Paris, 1964.

Saint-Martin, J.,

Mémoires Historiques et Géographiques sur L'Arménie, 2 Vols, Paris, 1918-1919.

Salia, K.,

Histoire de la Géorgie, Paris, 1981.

Schlumberger, G.,

L'épopée Byzantine à la Fin du Dixième Siècle, Paris, 1905.

Sédillot, L. B.,

Histoire des Arabes, Paris, 1854.

Thopdschian, H.,

Die Inneren Zustände von Arménien Unter Aschot I, M.S.O.S., Berlin, VII, 1904, P. 104-153.

Toumanoff, C.,

Studies in Christian Caucasian History, Washington, 1963.

Tournebize, F.,

Histoire Politique et Religieuse de L'Arménie, Paris, 1910.

كتب للمؤلف

توزيع دار الفكر العربى ودار النهضة المصرية بالقاهرة

١ ــ « أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين » ــ الإسكندرية ١٩٨٢ .
٢ ــ « أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة » ــ الإسكندرية ١٩٨٣ .
٣ ــ « الفتوحات الإسلامية لأرمينية » ــ الإسكندرية ١٩٨٣ .
٤ ــ « امبراطورية طرابيزون والبندقية » ــ الإسكندرية ١٩٨٣ .
٥ ــ « البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد » ــ الإسكندرية ١٩٨٤ .
٦ ــ « استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية (آنى) » ــ القاهرة ١٩٨٧ .
٧ ــ « المقاومة الإسلامية فى مواجهة العدوان الصليبى على تونس » ــ القاهرة ١٩٨٧ .
٨ ــ « أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية » ــ القاهرة ١٩٨٧ .
٩ ــ « الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١٠ــ « الحياة الاقتصادية فى الشمال الإفريقى فى عهد الوندال » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١١ــ « معركة ملاذكرد وصداها فى القسطنطينية » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١٢ــ "Les Richesses de L'Arménie au Temps des Bagartides", Le Caire, 1888.
١٣ــ « مصر فى كتابات الحجاج الروس » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١٤ــ « غزو الامبراطورية البيزنطية لأرمينية » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١٥ــ « الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج » ــ القاهرة ١٩٨٨ .
١٦ــ « الكرج والأتراك السلاجقة فى عهد داود الثانى » ــ المؤرخ العربى ــ العدد الأول ــ ١٩٩٣ .
١٧ــ « شارلمان والفتوحات الإسلامية لجزيرة كورسيكا » ــ العدد الأول من مجلة كلية آداب بنها ــ ١٩٩١ .

١٨ــ « تسامح صلاح الدين مع الصليبيين أثناء حرب تحرير القدس » ــ كتاب ندوة يوم القدس ــ الكويت ١٩٨٩ .

١٩ــ « دراسة تأريخية لحملة المسلمين الأولى على أرمينية سنة ١٩ هـ » مجلة سيرتا ــ المجلة العلمية لجامعة قسنطينة بالجزائر ــ العدد الثامن سنة ١٩٨٣ .

٢٠ــ « مملكة أرمينية الصغرى بين المماليك والصليبيين » ــ رسالة دكتوراه ١٩٨٠ ــ تحت الطبع .

٢١ــ « العدوان الصليبي على تونس في ضوء رسائل بيير دي كونديه » بحث سينشر في مجلة كلية الآداب ــ جامعة صنعاء .

٢٢ــ « فن القتال لدى المسلمين والصليبيين » ــ رسالة ماجستير ١٩٧٦ ــ تحت الطبع .

٢٣ــ « المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سبيوس » ــ تحت الطبع .

٢٤ــ « المشرق الإسلامي في مواجهة تحالف المغول والأرمن » ــ بحث منشور في كتاب « ندوة العلاقات المصرية العراقية » ــ القاهرة ١٩٩٠ .